روايات عبير



جاكلين غيلبرت



لقاء واحد يكفي

١٥٢

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No 152

لقاء واحد يكفي

كل منا يسعى وراء حلم معين بقناعة ذاتية همها الوحيد اختصار المسافة بين اثنين. قد يكون هذا هو ما يسمى بالحب. بعد ستة أشهر من الهروب، وفي محاولة يائسة لنسيان حبها الفاشل لرجل متزوج، أيقنت فرنسيس هارون انها شفيت اخيراً وهي على استعداد للدخول في تجربة حب جديدة مع هذا الغريب الذي علقت وإياه بالصدفة في مصعد معطل.

فيلكس رافنسكار من برج العقرب. عازب متكبر يقرب سلوكه من الاستهتار المزعج احياناً. ولكنه ايضا مخرج ذكي، ناجح في عمله وله عينان جذابتان لهما القدرة على اختراق السطح العادي الى حيث تختبىء العواطف الكامنة وتنتظر في الأعماق. عملت معه في مسلسل تلفزيوني وهي مصممة على ان لا تمنحه حبها ما لم يبادلها نفس الشعور، وبنفس الحدة والحرارة. هل كان لقاؤهما كافياً ليحدث هذا؟ ام ان الخيبة، هذه المرة ايضا، ستقلب صفحة اخرى في كتاب حياتها؟

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
SCORPIO SUMMER

المراسلات:
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١- مصعد الى النجوم

رياح عاصفة تهب على شارع ريجنت في مدينة لندن. الشمس خفيفة وخجولة تطل لدقائق وتختفي بسرعة بعد ان تلقى كل ترحيب وسرور. الحدائق العامة تكسوها زهور النرجس الصفراء وبعض النباتات والعشب الأخضر.

رفعت فرنسيس روز هارون وجهها ونظرت صوب الشمس الباهتة ثم اسرعت خطاها وهي تفكر بالربيع القادم ببطء. شعرت بفرح يغمرها وهي تتذكر الربيع المقبل والحياة المتجددة والأمل المنشود بالنسبة الى حياتها وعملها. فالامل هو شعارها لهذا اليوم وهي متحمسة وكلها نشاط، مشرقة كزهور النرجس الضاحكة، تمشي مشية سريعة ورأسها مرفوع الى اعلى، واثقة من نفسها، شامخة.

لقد استلمت رسالة قصيرة من زميلتها التي تسكن معها في الشقة الصغيرة، زوي ألكسندر، كانت السبب المباشر لبهجتها وشعورها المتفائل. مدت يدها من جديد الى جيبها وتحسست الرسالة. ورقها من أجود الانواع. صديقتها تستعمله دائماً في مراسلاتها. تذكرت كلمات الرسالة التي تقول:

«فرنسيس. لقد سمعت من مصدر موثوق ان هناك تجربة في الاداء للممثلات الجديدات في الثانية والنصف بعد الظهر في استوديوهات التلفزيون في شارع ادجوار في جنوب لندن. يطلبون

ممثلة تتقن لهجة اهل الجنوب من منطقة كورنوال. اتصلي بالسيد توم ويفريل هناك واتمنى لك حظاً سعيداً ونجاحاً كبيراً.

ثقتها بصديقتها زوي كبيرة لأنها على اتصال بمسؤولين مهمين في حقل التمثيل. إما الحظ فهي تحتاجه اليوم اكثر من أي يوم آخر. الحظ يلعب دوراً بارزاً في هذه التجارب. لقد خبرت هذه الحقيقة بنفسها اثناء عملها ولكثرة ما قامت من تجارب في الاداء. عدم نجاح المشتركة في تجربة الاداء مرده أسباب عديدة أخرى بعيدة كل البعد عن المقدرة والكفاءة. ولكنها اليوم تشعر بأن الفشل ليس من نصيبها، فالنهار يبتسم لها والأمل كبير بدفئها وتوصية زوي بها لا بد وانها ترتكز على أساس متين. اما لهجة اهل كورنوال فهي تمتلكها بالفطرة.

تذكرت فرنسيس ايام طفولتها التي امضتها في جنوب انكلترا. . . في جنوب غربي انكلترا حيث كانت ترافق والدها الطبيب اثناء العطل المدرسية في تنقلاته اليومية لاستفقاد مرضاه. تذكرت صخورها هارتلاند وشابتوز. وكيف كانت تجوب منطقة بودمنمور سيراً على الاقدام مع والدتها والنزهات الحلوية في منطقة ترلغي كوت وحدائق براون ويللي حيث كانت تقطف الأزهار البرية وتفتش عن المتحجرات فوق الصخور. اللهجة تملكها بالسليقة ولن يصعب عليها ان ترطن بها بعفوية.

غمرها الحزن وهي تتذكر عائلتها والحنان الذي افتقدته بموتهم. انها يتيمة الأبوين منذ عشر سنوات. اقرب عائلة لها هي عائلة صديقتها زوي. لقد رحبوا بها كفرد من أفراد العائلة واعتبرتها زوي شقيقة صغرى لها. . . ومع ذلك فعاطفة والديها الدافئة لا يعادلها أي حنان في العالم.

حاولت فرنسيس ان تبعد ذكرياتها الأليمة من خاطرها. . . فاليوم هو يوم باسم بالنسبة لها وهي متفائلة بالمستقبل ولن تنظر الى الوراء.

مر بها رجل مسرع ودفعها بخشونة بذراعيه وهو يوسع طريقه

وسط الزحام. بعض الناس لا يتهاونون في ايذاء الآخرين دون اهتمام. نظرت الى الرجل وهو يسرع خطاه.

قالت سيدة قربها وقد اصطدم بها بطريقة ادت الى تبعثر مشترياتها واكياسها:

- لا يهمه من يؤذي وهو مسرع في طريقه.

انحنت فرنسيس تساعدها في لملمة الخضار وبعض التفاح. ركضت خلف تفاحة ابتعدت قريباً من سيدة متقدمة في السن. نظرت فرنسيس الى السيدة التي بدت كأنها تتفرج على واجهات المحلات التجارية وشعرت انها تتمسك بزجاج الواجهة كأنها ستغيب عن وعيها او تسقط ارضاً. ركضت فرنسيس لمساعدتها بحذر وقالت لها:

- آسفة. . . هل تشعرين بأي شيء؟ هل انت بخير؟ (نظرت اليها ثم اكملت) هيا. استندي الى ذراعي، يبدو عليك التعب والمرض. هل اطلب لك مساعدة؟

- ارجوك يا عزيزتي ان تساعديني (اشارت الى حقيبة يدها الجلدية الفاخرة المعلقة في ذراعها واكملت) يوجد علبة ادوية في جيبة صغيرة داخل الحقيبة. (فعلت فرنسيس كما طلب منها. وجدت علبة الادوية واستخرجت حبة بيضاء ناولتها للسيدة الجليلة. امسكتها السيدة بيد مرتجفة ووضعتها على طرف لسانها وابتلعتها. بقيتا صامتتين لدقائق وفرنسيس تمسك بها كي لا تقع ارضاً) لا تهتمي يا عزيزتي. سأتحسن بعد قليل، بعد ان تأخذ حبة الدواء مفعولها المرتقب.

- انت تحتاجين لعناية طبية فورية. سأطلب سيارة اجرة.

تمتمت السيدة بجهد:

- انا معتادة على ذلك.

وجدت فرنسيس سيارة الأجرة. اشارت اليها ولحسن حظها توقفت قربها فوراً.

- هيا معي لأساعدك حتى سيارة الاجرة. لا تستعجلي نفسك.

ارتاحي على كتفي.

- انت لطيفة ومهذبة.

- ارجوك ان لا تتكلمي. انا واثقة بأن الكلام يتعبك. سنصل بعد قليل بأمان الى منزلك وترتاحين.

نزل سائق السيارة وساعد في ادخال السيدة المتعبة الى المقعد الخلفي. قال السائق متلهفاً وهو ينظر الى شحوبها الواضح:

- هل سيغمى عليها؟

- لا اعرف. ولكن ارجوك ان تسرع (نظرت الى السيدة تسألها) اين العنوان؟

ترددت السيدة. نظرت فرنسيس اليها واضافت بحنان:

- سارافقك واتأكد من وصولك سالمة الى منزلك. ارجوك اعطيه العنوان.

اعطت السيدة عنوانها للسائق وهي تنظر الى فرنسيس شاكرة بصمت. تابعت فرنسيس مراقبتها للسيدة الجليلة بتمعن. كانت ترتدي جزمة رمادية جلدية ثمينة وتتكلم بلطف ورقة دون تبجح. يظهر انها تنتمي الى الطبقة الارستقراطية الرفيعة وعمرها يناهز الستين او يقارب السبعين. ثيابها انيقة تناسب عمرها وقد تزينت بعقدين من اللؤلؤ في جيدها وترتدي معطفاً من الفراء الاصلي، بينما يتوهج في اذنيها قرطان من الماس البراق مما يؤكد ثراءها وغناها.

تمسك بعصا في يدها لتساعدها على التنقل وقد زينت اصابعها بالعديد من الخواتم ذات الاحجار الكريمة.

مالت فرنسيس نحوها وسألتها:

- كيف حالكِ الآن؟

- اشعر ببعض التحسن. لا تخافي يا عزيزتي. لقد ساعدتني كثيراً بوجودك قربي. القليل من الناس يتصرف كتصرفك حيال الغريب. اتمنى ان لا اكون قد اخرتك عن بعض اعمالك.

كان صوتها حنوناً وقد اكتسب من الحياة الخبرة والاقناع وهي

تخرج كلماتها بشكل ساحر جذاب.

- ابداً.

حاولت فرنسيس ان لا تنظر الى ساعتها لترى كم تأخرت عن موعد تجربة الاداء من اجل عملها.

سألتها بعد ذلك لتطمئن:

- هل هناك احد في المنزل؟

هزت السيدة رأسها وارتاحت فرنسيس.

دارت السيارة لتقف امام منزل فخم في ساحة كبيرة مليئة بالنباتات والعشب الاخضر المنسق. راقبت باهتمام بالغ المنزل القديم الذي ينم عن عز كبير وقارنت بينه وبين السيدة الجليلة. انه يناسبها تماماً.

توقفت السيارة ونزلت فرنسيس مسرعة وقفزت الدرجات الحجرية الاربعة واطبقت باصبعها على الجرس لفترة طويلة مما ينبيء ان الامر مستعجل للغاية. فتح الباب وظهر الخادم. نظر حوله متسائلاً ولاحظ سيدته في السيارة. خرج ملهوفاً وركض لمساعدتها. لحقت به فرنسيس مسرورة لمساعدته. شعرت بأن عبئاً ثقيلاً قد ازيح عن كاهلها. خرج السائق ايضاً لمساعدتهم... وادخلت السيدة الى منزلها. بقيت فرنسيس تنتظر عودة السائق في الخارج وهي قلقة تنظر الى ساعتها بعصبية. وحين ظهر السائق من جديد هرعت الى داخل سيارة الاجرة وانتظرت دخوله بفارغ الصبر. ثم قالت له بعد ان اغلق بابه:

- شارع ادجوار، استوديوهات التلفزيون. ارجوك ان تسرع. لقد تأخرت.

- حسناً يا آنسة... كم يسرني التعامل مع الناس الميسورين امثالهم (هز برأسه ناحية المنزل واصحابه) انهم يعرفون كيف يجزلون العطاء.

- فكرت فرنسيس في نفسها: ولا بد وانهم اجزلوا له العطاء

واكرموه».

سرت لمعاملتهم الجيدة. نظرت خلفها لتلقي نظرة اخيرة على المنزل ووجدت ان الخادم قد خرج من الدار كأنه يبحث عنها ثم دخل بعد ان تأكد ان السيارة قد اختفت.

نظرت فرنسيس الى ساعتها تستطلعها الوقت مرة ثانية. لا بد ان المخرج قد انتهى من تجربة الاداء... ولكن لم يكن باستطاعتها ان تهمل المرأة المسكينة وتتركها دون مساعدة في وسط الشارع العام. ستفهم صديقتها زوي ما حصل لها ولكنها ستعلق على الحادثة بسخريتها اللاذعة: «لا اعرف لماذا تحصل معك انت فقط كل هذه الحوادث غير المتوقعة؟ لماذا تجوبك مشاكل الناس كما يجذب العسل النحل؟».

- وصلنا يا آنسة. هل تعملين في التلفزيون؟ لا اذكر انني رأيتك؟

- لا اعتقد انك رأيتني.

اخرجت من حقيبتها بعض المال.

- شكراً. لقد دفعت السيدة اجرة التاكسي عنك.

سرت فرنسيس بمبادرتهم الحميدة وراقبت سيارة الاجرة تبتعد عنها قبل ان تدخل الى الاستديو. فتشت في المدخل عن اللافتة حيث قرأت اسم ديفريل: الطابق الثامن. غرفة رقم أربعة.

دخلت المصعد مع فتاتين ورجل. كان الرجل عريض المنكبين يضع يديه في جيوبه وينظر مفكراً الى اسفل. وصل المصعد الى الطابق الرابع وخرجت الفتاتان. نظر الرجل اليها يستطلعها الطابق الذي تريد الوصول اليه وقد وضع اصبعه في حالة تأهب.

- آسفة. الطابق الثامن ارجوك.

ضغط الرجل على الزر المناسب دون ان يتكلم. لقد تجاهل وجودها كلياً وبقي ينظر الى اسفل مفكراً. تنهدت فرنسيس وهي تفكر في نفسها: «ولماذا كل هذه التعقيدات في هذا اليوم؟» كل شيء يسير خلافاً لرغباتها ويعاندها. حتى رقم الطابق الذي تريده هو رقم

ثمانية... لماذا لم يكن الطابق الثاني؟ كانت الآن قد ارتاحت ووصلت الى بغيتها. راقبت المصعد يصل بين الطابقين السادس والسابع ونظرت الى ساعتها تستوضحها الوقت. انها تحاول المستحيل. وقت التجربة انتهى حتماً... توقف المصعد بين الطابقين السابع والثامن فجأة. نظرت الى لافتة الارقام والاشارات الضوئية حيث توقف. صرخت فرنسيس بلهفة وهلع:

- اوه. كلا.

صرخت يائسة وهي تفكر ان ما حصل لها الآن هو القشة التي قصمت ظهر البعير. كان رفيقها في المصعد يقرأ تعليمات الطوارىء الملصقة على الحائط بالقرب من لافتة الارقام. سألته:

- هل علقنا؟

كانت تعرف ان سؤالها لا معنى له ولكنها كانت ترغب في الكلام. هز رأسه موافقاً.

نظر اليها متفحصاً. على الأقل يعترف بوجودها معه. لفترة كانت تظن انها غير مرئية بالنسبة اليه. حدق بها بشكل متعجرف ووقح. بدأت فرنسيس تنزعج من نظراته ولكنها كانت هي أيضاً تحدق به بطريقة غريبة. تحدق في عينيه الساحرتين... عينان لم تر جمالهما من قبل. لونهما يميل الى الاصفرار مع بريق لامع يأخذ الابصار، كعيني قطة وحشية تشعان وسط الظلام، لهما بريق الاحجار الكريمة. قال بايجاز:

- نحن عالقان.

مد يده يضغط باصبعه على بعض الأزرار ثم ضغط على زر الانذار وبقي صامتاً هادئاً.

- هل يتكرر انقطاع المصعد في الاستوديو؟

مد الشاب يده يعاود ضغط زر الانذار من جديد وقال باقتضاب:

- لا اعتقد ذلك.

ران الصمت من جديد. مالت فرنسيس بثقلها من رجل الى رجل

وقد بدا عليها التذمر من شريكها في المصعد. هي لا تتوقع منه معاملة مميزة ولكنه يستطيع ان يخفف من حدة الموقف ببعض الجمل المريحة... هما عالقان في فخ واحد وربما كلاهما في وضع مؤسف. نظرت اليه وقرأت تعابير الاستياء والقرف بادية على وجهه كأنها ستطلب منه قرضاً. فكرت في نفسها: ربما ستضطر لطلب القرض عاجلاً اذا لم توفق بعمل ما وبسرعة. ولكنها حتماً لن تطلب من هذا الشخص المتشامخ المتعالي. انه متكبر ومتحفظ ويجيب عن اسئلتها بصبر نافذ. هنا الكثيرون لا يحتملون البقاء في مكان ضيق ومغلق ويصابون بهستيريا ونوع من النرفزة والجنون. كم كان يناسبه ان يعلق مع شخص مريض بالكلوستروفوبيا (عدم احتمال الاماكن المغلقة والمقفلة). تنهدت بعمق وهي تريد ان تلفت نظره الى وجودها. رمته بنظرة ثاقبة وهي تفكر انه شاب يتستر تحت ستار الهدوء... سمعته يقطع عليها تفكيرها ويقول:

- لا تخافي. صدقيني. انا لست هارباً من السجن او مجرماً.

وكأنه قرأ افكارها. تنهدت مرة ثانية بصوت مسموع وقالت:

- يسرني معرفة ذلك. هل تعتقد انهم عرفوا بأمرنا داخل المصعد؟

- ثقي بجرس الانذار...

كأنه يقول لها اخرسي وكفي عن الثرثرة. كم يناسبه لو يغمى عليها بين يديه. وحتى لو اغمي عليها وسقطت مغشياً عليها تحت قدميه فلن يتحرك لمساعدتها بل يتركها وشأنها. ربما عليها ان تبرهن له خوفها الشديد. وحين عيل صبرها ركزت اهتمامها على شخصه. هل قالت من قبل انه شاب طبيعي؟ هذا غير مقبول. انه رجل غير طبيعي... وهو في الثلاثين من عمره. وجهه قاس وصارم وفيه تصميم وجدية واضحة. ربما يبتسم احياناً... ونادراً. أنفه قاس وشعره بني غامق يعلو جبهته العريضة. سمرته ليست سمرة طبيعية بل ربما اكتسبها من اسفاره خارج انكلترا خلال الصيف المنصرم. يرتدي بنطلوناً وكنزة عادية ولكن ثيابه باهظة الثمن ومن شارع

نايتس بريدج. قوي العضلات كأنه لاعب رياضة متمرن. شكله يوحي بأنه يمارس رياضة كرة المضرب. صوته دافىء ووقعه مطرب. يحمل تحت ابطه مخطوطة لتمثيلية... لا بد وانه ممثل تلفزيوني. شكله محير... ولكن عينيه تلفتان النظر، مع انه لم ينظر الى عينيها الا القليل. لونهما عسلي أو خليط من اللونين البني والاصفر. لونهما غريب جداً. نظر اليها نظرة ثانية ولكنه بقي على صمته. ربما هو يكره النساء عامة... لا نظراته الساحرة تؤكد لها عكس ذلك تماماً. انه كامل الرجولة ولكنه يتعمد اهمالها. شعرت بأن عليها ان تستفزه ووسوس لها الشيطان بأن تتحداه بروحها المرحة. لا يمكن لأي امرأة ان تقبل اهمال الرجل لها. قالت:

- الى... متى نستطيع ان... نتنفس الاوكسجين... برأيك؟

كانت تعلم انها لن تخدعه بكلامها. نظر اليها باهتمام ونظر الى نافذة التهوية في سقف المصعد ثم نظر اليها من جديد.

- آمل انك لا تصابين بالهستيريا او الجنون؟

- لا لن اصاب بالهستيريا على ما اعتقد. ولكن الأمر متوقف على... الى متى سنبقى على هذا الحال؟ هل شكلي يوحي بالمرأة الهستيرية؟

نظر اليها نظرة فاحصة قبل ان يجيبها عن سؤالها. كانت فرنسيس معتادة على النظرات الفاحصة التي يلقيها المخرجون والمسرحيون عليها من حين الى آخر، ولكن نظراته اليها كانت وقحة مما اخجلها وشعرت بالدماء الحارة تكسو وجهها بينما وقف هو مسروراً بنتائج نظرته. انها بلهاء بسؤالها... ماذا سيعتقد الآن؟ لا بد وانه سيعتقدها امرأة ثرثارة في منتصف العقد العشرين من عمرها. طويلة ومتناسقة الاعضاء ترتدي سترة من الفراء مع تنورة صوفية وجزمة ترتفع للركبة. وجهها مستدير وبشرتها بيضاء ناعمة ويعلو أنفها القليل من النمش. فمها مستدير وابتسامتها العريضة تنفرج عن اسنان متناسقة بيضاء. عيناها زرقاوان حادتان، رنة صوتها متناغمة.

شعرها أحجية كبيرة لأنها ضمته كتلة واحدة تحت قبعة كبيرة خوفاً من عبث الرياح الشديدة في ذلك اليوم... لو انها لم تكن ترتدي تلك القبعة. انها تخفي أجمل ما فيها... شعرها. هذا الشاب الواقف امامها رجل خطير للغاية. انه شديد الوسامة والجاذبية وهو لا يريد ان يشاركها الحديث مهما استفزته.

قالت من جديد:

- حسناً؟

- اعتقد انك شديدة الانفعال وسريعة الغضب... ولست امرأة هستيرية. وانا اتفاءل وأقول ذلك واتمنى ان لا اضطر ان اصفع وجهك ان اغمي عليك لأنني لا أحب ان اضرب سيدة...

انه خطير وكاذب أيضاً. بدأت تشعر بالغضب يتفاعل بداخلها. انه مغرور ولا يتحلى بلياقة أو دبلوماسية. انه صارم في معاملاته وتكاد تسمع صوت السوط في يده يضرب به كل من لا يحسن التصرف.. انه رجل اناني ومتفاخر.

- يسعدني ان اسمعك تقول ذلك. (ابتسمت) نعم انا سريعة الغضب (نظرت الى عينيه الضاحكتين كأنه يتحداها بمرحه. واكملت ساخرة) وهذا يريحني.

مشت الى لوحة الازرار من جديد وضغطت بعصبية على جميع الازرار دون تمييز وبكل قوتها. لم يتحرك المصعد. نظرت الى ساعتها كأن صبرها قد نفد ثم عادت الى موقفها السابق دون ان تنظر الى عينيه من جديد.

لم تعتد ان تضبط اعصابها فترة طويلة. نظرت الى المسافة بينهما وقالت بعصبية واضحة:.

- هل تعتقد ان الصراخ يفيد؟

- اشك بالأمر.

نظر الشاب المتكبر الصامت اليها ثم نظر الى النافذة في سقف المصعد واضاف ساخراً:

- ليس في مقدوري ان امثل دور جيمس بوند ايضاً.

- لم اطلب منك ذلك.

كانت لهجتها الساخرة تنم عن انها تشك بأن في مقدوره ان يخلصها باعمال بهلوانية. انه رابط الجأش وصارم وهي مرحة وخفيفة الروح تحب ان يشاركها مرحها ولكن في وقفته المتزنة زم شفتيه مفكراً... بدا متعقلاً محترماً. ارادت فرنسيس ان تتجاهل نظراته الجريئة وتتصرف على هواها.

قالت:

- اعتقد انني سأجلس على الارض. انا لم اتناول اي طعام ظهراً واشعر ببعض التعب من كثرة الوقوف.

اخرجت الجريدة اليومية من حقيبة يدها وفرشتها على الارض وجلست فوقها. بدأت تقرأ بعينيها اقسام الجريدة الظاهرة وقالت بصوت مسموع:

- دع النجوم تتنبأ. (قرأت بصوت متفائل عجيب ثم رفعت رأسها اليه وعلقت) انا لا أؤمن بالتنجيم. ربما هي تسلية بريئة... ربما هناك علاقة تربط بعض الامور بتاريخ الولادة. اشتغلت سكرتيرة عند عالمة فلك. كانت تؤلف كتاباً في قراءة النجوم. كان بامكانها ان تحدد برج الاشخاص، وقد تعلمت منها الكثير.

- صحيح.

- نعم. انه شيء معقد للغاية. هل تعرف ان الشمس تغير مركزها في فترات مختلفة من النهار وليس في منتصف الليل؟ ولهذا السبب عليك ان تعرف تاريخ ميلادك بالساعة واليوم والشهر والسنة ان كنت ترغب في معرفة طالعك بدقة اكيدة. الوقت المحدد يتأثر ببقية النجوم وصعودها ونزولها... وانا لا اعتقد ان ذلك ممكن... اسمع حظي هذا اليوم. انا من برج الميزان: فرص جديدة امامك وخاصة في الامور المالية. لا تتعجل الحكم بسرعة. الصبر مفتاح الفرج. اللون الاحمر هو اللون المفضل هذا الاسبوع. (نظرت اليه

متسائلة) انتظر ان تتحسن الأمور المالية معي واستطيع ان اصبر اذا لزم الامر ولكن اللون الاحمر لم يكن ابداً اللون المفضل لدي. انا لا احبه ولم ارتد ثوباً احمر ابداً. (نظرت اليه بحذر واكملت) هل تريدني ان اقرأ لك طالعك؟

- افضل ان اصنع [illegible] بيدي. شكراً.

عاد الشاب من جديد للضغط على زر الانذار.

قالت:

- انت لا تؤمن بالتنجيم ابداً. لو كنت اعرفك أفضل لاستطعت ان احدد برجك.

- ربما تسنح لك الفرصة الآن لتعرفيني اكثر. ربما سنبقى النهار بطوله هنا وستتسلى بسرد تاريخ حياتنا لبعض.

- لدي شعور اكيد بانني سأتكلم لوحدي عن تاريخ حياتي. انت لا تحب المشاركة الى كذلك؟ (مالت برأسها تراقبه واكملت). انت لست من برج الاسد ولا برج الحمل. ربما من برج الثور أو العذراء (نظرت الى وجهه وشعرت انها فشلت في تخمينها وضحكت قائلة) يمكن للانسان ان يقرأ كل شيء في الابراج لتناسبه. معظم الناس يؤمنون بالخير ويتفاءلون بقدومه وينكرون الشر ويرفضون ان يحل بهم.

نهضت واقفة وطوت الجريدة وسألته من جديد:

- كم مضى علينا في داخل المصعد يا عزيزي؟

- عشرون دقيقة.

- فقط. شعرت كأننا هنا منذ عشرين سنة. آسفة. انا لا اريد ان اكون قليلة الذوق او وقحة... ما رأيك ببرج السرطان؟

اهتز المصعد فجأة. وقعت واختل توازنها.

توقف المصعد بعد ان نزل بسرعة رهيبة بين الطابقين الثالث والرابع. وجدت فرنسيس نفسها بين يدي الشاب القاسيتين بعد ان وقعا ارضاً. حاول الشاب ان يمنعها من السقوط ولكن توازنه اختل

وسقطا سوية.

لم يكن بمقدورها ان تتحرك. لقد انقلبت معدتها من شدة الاهتزاز وشعرت كأن الارض تميد تحت قدميها. لم تهتم لان الذراعين القويتين تسندانها ووجهها مدفون في كنزته الناعمة. كانت تسمع ضربات قلبه بانتظام. احست فرنسيس انها منذ فترة طويلة لم تقترب من احد... منذ فترة بعيدة وهي تحاول ان تنسى مارك لوكاس وعلاقتها المؤلمة به.

ابعدت نفسها بجهد عنه وتنفست قائلة:

- آسفة.

ولكن رجليها لم تقويا على حملها وشعرت بدوخة أكيدة. امسك بها مهدئاً وقال ساخراً:

- لحسن الحظ انني اجيد لعب الكرة.

- لو عاود المصعد هبوطه السريع سأستفرغ.

- اتمنى ان لا يكون علي.

نهض واقفاً وساعدها على الوقوف. امسك بها جيداً وقال:

- نحن نصعد الى اعلى من جديد.

توقف المصعد فجأة وفتح بابه. وبسرعة خرج الشاب ومعه فرنسيس الى الممر. كان بعض الناس قد تجمعوا امام الباب. فتحت عينيها واعادت اغماضهما بسرعة اسهل ان تحس الاشياء تدور حولها من ان تدور فعلياً امامها. سمعت صوت رفيق المصعد يقول آمراً:

- ضع كرسياً بين دفتي الباب لتمنع نزوله... اتصل انت بمركز التصليح... اجلب كرسياً للآنسة وافتح هذه النافذة بسرعة.

جرها برفق داخل الممر واجلسها على الكرسي ثم تركها.

شعرت بالهواء المنعش يصفع وجهها. كانت لا تزال مغمضة العينين مسترخية ورأسها الى الوراء. تسمع ما يدور حولها ولكنها لا تقوى على المشاركة بالحركة. وبعد فترة قصيرة سمعت شخصاً يقترب منها.

قال:

- لا لزوم للانتظار. شكراً ستكون بخير.

شعرت بالاصوات تختفي من حولها والصمت يعمّ. فتحت عينيها ببطء، لتجد صديقها لا يزال يحدق بها. عبست ووضعت يدها على جبهتها وقالت بامتعاض:

- كيف تعرف انني بخير؟

- لأن لون وجنتيك قد عاد لطبيعته.

- هل انت دائماً واثق من نفسك بهذا القدر؟

كان مسروراً من حديثها وقال:

- لقد احسنت التصرف وانت داخل المصعد. لم اعتقد انك تخافين... ولكن من الصعب ان نتنبأ بتصرفات الناس في مثل تلك الظروف.

- شكراً جزيلاً. كان بامكانك ان تفصح عن شعورك ونحن داخل المصعد، ولكنني عرفت انك لا تجيد المحادثة وربما اضيف الآن مؤكدة لك انني لست ثرثارة بقدر ما تظهر عني.

ابتسم واجاب:

- انا واثق من ذلك.

ابتسامته اصيلة وساحرة. وكذلك نظراته الحانية.

- نعم. (نظرت الى المصعد واكملت) ارجوك لا تدعني أؤخرك عن اعمالك اكثر.

- انا لست مستعجلاً... وانت؟ من ترغبين في مقابلته؟

- كان علي ان اقابل السيد توم ديفريل. كنت متأخرة اصلاً... هل تعرفه؟

نظرت الى وجهه فزعة واكملت مضطربة:

- أنت توم ديفريل؟

ابتسم ابتسامة خبيثة... هل من الممكن؟

- لا، انا لست هو ولكنني كنت في طريقي اليه.

هل عليها ان تتكل على هذا الرجل لمساعدتها في عملها؟

- هذا غريب!

- اذن انت ممثلة. ظننت انك سكرتيرة.

- اعمل سكرتيرة حين اكون بلا عمل.

- فهمت. اعتقد ان توم قد انتهى من تجارب الاداء.

- انا واثقة من ذلك... ولكن هل تعتقد انه من المفيد ان افتش عنه؟

- لم لا؟ وربما انك لم تتناولي طعام الغداء... تعالي معي لنجد لك بعض الشراب الساخن. علينا ان نفحص عقول الفتيات اللواتي يتقيدن بالريجيم

- انا لا اعمل ريجيماً ولكنني لا استطيع ان اتناول اي طعام قبل تجربة الاداء. ينتابني شعور بالقلق وتنقطع شهيتي.

- او ربما اغمي عليك تحت قدمي المخرج فان ذلك سيؤثر كثيراً على تلك الدور المطلوب. (قال كمن نفد صبره) نحن في الطابق السابع علينا ان نصعد السلالم الى الطابق الثامن... الا اذا كنت تفضلين استعمال المصعد الآخر.

ضحك مازحاً وابتسم لها ابتسامة ساخرة وصعد معها. سألها:

- هل انت دائماً متأخرة في عملك؟

- لا. لدي تفسير حقيقي لأسباب سأطلع السيد توم ديفريل عليه ان رغب في سماعه.

- اعتقد انه سيستمع الى كلامك بعد ان تبتسمي له ابتسامتك الخلابة، ولن يهتم بعد ذلك ان كنت تمثلين عليه الدور ام لا.

توقفت فرنسيس غاضبة وقالت بقسوة:

- لحسن حظي انك لست السيد ديفريل. من الواضح ان ابتسامتي لن تنفع معك (تنهدت بعمق وبدأت تقول من جديد) ربما كان يومك سيئاً وكل شيء يسير سيراً خاطئاً ولكن لا تلمني ارجوك.

هذه التجربة مهمة جداً بالنسبة لعملي. ربما افسدت الفرصة دون سبب وجيه. ارجوك ان تساعدني لمقابلة السيد ديفريل وبامكانك بعد ذلك ان تغسل يديك مني وتذهب لسبيلك. (نظرت اليه ساخرة) ساحاول الآن ان اتدرب على اداء ابتسامتي الخلابة لأسحره بها.

نظر اليها نظرة قاسية وقال:

- يمكنني مساعدتك في العثور عليه. انتظري هنا قليلاً حتى اجده لك.

فتح احد الابواب دفعاً وادخلها واغلق الباب دونها. نظرت فرنسيس حولها في الغرفة الفارغة. انتابها شعور بالغرابة وهي تفتش عن كرسي لتجلس عليه. جالت بنظرها فوق الطاولة المليئة بالاوراق والمخطوطات. المنافض لا تزال مليئة باعقاب السكائر. لا فائدة على ما يبدو. ان تجربة الاداء قد انتهت... لماذا تنتظر؟ من الأفضل لها ان ترحل بصمت.

فتح الباب من جديد ودخلت فتاة شابة تحمل لها فنجاناً من الشاي الساخن.

- قال فيلكس ان عليك ان تتناولي بعض السكر مع الشاي. واقوال فيلكس أوامر.

وقبل ان تشكر الفتاة على اهتمامها كانت قد اختفت.

- فيلكس!

شربت فرنسيس الشاي ببطء. الاسم يناسبه. ربما لن تراه بعد الآن وسيبقى في ذاكرتها: رجل المصعد الغامض... الذي يحسن التصرف.

حاولت ان ترتاح... وهي تنتظر عودته.

٢- الحديث غير ممكن

- لقد حضرت، فيلكس شرح لي أسباب تأخرك.

نظرت فرنسيس الى مصدر الصوت في آخر القاعة ورأت رجلاً مليئاً في متوسط العمر يسرع نحوها.

- لسوء الحظ انك علقت في المصعد. لا بد انك انزعجت كثيراً، ولكن وجود فيلكس معك هون عليك الامر. انه يحسن التصرف ويُركن اليه.

مد يده اليها محيياً وابتسم. نهضت فرنسيس من مجلسها ومدت له يدها مصافحة وقالت:

- السيد توم ديفريل؟

- نعم، واقترح ان تقرأي هذا المقطع من الدور وتتدربي عليه.

سألته وهي لا تصدق حظها السعيد:

- هل سأقوم بتجربة الاداء؟

- اذا كنت مستعدة. ام انك تفضلين الحضور في الغد لتجربة الاداء؟ أنا شخصياً اكره المصاعد ولكن ماذا نفعل في بناية بهذا الحجم الكبير؟ انه ضرورة اكيدة. (نظر اليها مبتسماً وقال) ارجو ان لا تقاضينا لتأخيرك بسبب عطل المصعد.

احست فرنسيس ببعض الدفء في ابتسامته المشجعة.

قالت مازحة:

- لا. لا اعتقد انني سأفعل.

- حسناً كيف حالك الآن؟ هل انت قادرة على اداء التجربة؟
- نعم يسعدني أن أقوم بها الآن.
نظر توم الى المدخل ورأى شخصاً خاطبه قائلاً:
- فيلكس. انت هنا. اعتقد ان لدينا بعض الوقت لسماع تجربة الاداء، للآنسة (نظر اليها واكمل) لا اعتقد انني اعرف اسمك بعد.
- فرنسيس هارون... (اخرجت من حقيبتها لائحة) اليك لائحة بالأعمال التي قمت بها.
كانت تعجب لوجود فيلكس معهما. يمكنها ان تقوم بالتجربة على وجه افضل لو يذهب ويتركها. نظرت الى وجهه ورأت تعابير غير مشجعة.
- حسناً يمكنك قراءة دورك بينما اقرأ انا لائحة اعمالك السابقة وخبرتك.
تمكنت فرنسيس من قراءة الدور ثلاث مرات متتالية قبل ان تسمعه يقول لها آمراً:
- نحن على استعداد لسماعك حين تصبحين جاهزة. ربما فهمت ان القصة تدور في منطقة كورنوال حوالى القرن الثامن عشر. هي قصة غرامية تاريخية وتتضمن الحياة السياسية لتلك الحقبة. الحياة في قصر كبير مقابل الحياة في كوخ صياد فقير. عمليات تهريب ومخالفات قانونية. عواصف بحرية وعوامل اخرى تشجع على قصة ناجحة لمسلسل تلفزيوني ناجح... هذا ما نأمله. البطل هو نيكولا بتروث والاسم هو عنوان المسلسل وانت ستقرئين الآن مقطعاً لماري ترويث... البطلة. هل أنت جاهزة يا آنسة هارون؟
هزت فرنسيس رأسها وخلعت سترة الفراء ووضعتها على الكرسي ثم نزعت قبعتها، وعلى الفور تدلى شعرها الكستنائي الى كتفيها. مرت باصابعها خلال تموجاته الكثيفة بفخر والتفتت الى الرجلين وانتظرت تعليماتهما.
بدت نظرة مبهمة على وجه فيلكس بينما فرك ديفريل يديه مسروراً

مبتهجاً وقال:
- هذا مثير للغاية. نعم... لديك لهجة اهل الجنوب اليس كذلك؟
هزت فرنسيس رأسها من جديد.
- لنبدأ اذن.
قال فيلكس:
- لقد طلب مني توم ان اقرأ دور البطل معك... هل لديك مانع يا آنسة هارون؟
امسك بيدها وقادها الى وسط القاعة بينما جلس توم يراقب ويسمع.
- لا. لا ابداً.
لقد كان نظرها ثاقباً حين اعتبرته ممثلاً.
حاولت فرنسيس ان تضبط اعصابها وتمنت ان لا يرى فيلكس الأوراق ترتجف بين يديها.
قال فيلكس:
- البطل شاب شريف المحتد بينما ماري فتاة قروية... المشهد الذي ستقرأه يقع بعد ان تكون ماري قد انقذت البطل عندما تحطمت سفينته فوق الصخور بفعل العاصفة. حملته في قارب صغير واخذت تجذف بنفسها حتى انقذت حياته من الموت الأكيد. والمشهد الآخر بعد زواجهما. كان يواجهها بغيرته القاسية. مشادة حامية تنتهي بعناق حار... (كانت لهجته طبيعية دون اي انفعال. نظر اليها بعينيه العسليتين وسأل) هل انت جاهزة؟
هزت رأسها موافقة وشرعت في الاداء... وكان عليها ان تعترف بعد ذلك ان البطل قد ساعدها كثيراً في قراءته. كان يلقنها الجمل بسهولة فائقة... انه ممثل بارع وهذا ما ساعدها في تقمص دورها بسهولة طبيعية. لهجتها الجنوبية اتت طيعة مرنة وتناغمت مع نبرة صوته العذب. طلب منها توم اعادة مشهد المشادة الكلامية مرة

ثانية. . . هل كان طلبه تأكيداً لنجاحها في الدور؟ تمنت ذلك. الجدال والمشادة مع شخص وسط المخطوطات والاوراق. . . ولكن المشهد للمرة الثانية أتى عفوياً وأفضل. لقد استغل شريكها البطل دوره على أفضل وجه وقام بتمثيل العناق الذي يسمح به المشهد خير قيام. . . وتمكنت أخيراً من دفع نفسها بعيداً عنه ونظرت اليه والشرر يتطاير من عينيها. تمنت لو تستطيع ان تمثل المشهد التالي والذي تصفع فيه البطل صفعة مدوية على وجهه. . .

وكأن فيلكس قرأ افكارها فقال مبتهجاً مسروراً:

- نتوقف هنا يا آنسة هارون. انت لا تريدين ان نصفع البطل طيلة فترة التجربة. (ابتسم ساخراً وهو يقرأ تعابير وجهها) هل يكفي يا توم؟

- نعم. شكراً يا فيلكس. تفضلي الى هنا يا آنسة هارون.

نظرت فرنسيس الى فيلكس نظرة باردة غضبى ومشت الى الطاولة حيث جلس السيد ديفريل وقد شمخت برأسها نافرة منه.

نظر ديفريل اليها وهي تقترب منه وابتسم لها ابتسامة مشجعة وقال:

- شكراً. كانت قراءتك مشجعة ومثيرة. اجلسي. ضمن لائحة خبراتك ارى انك قمت باداء ادوار بارزة في مناطق برستول، كويتز بريدج، ليستر وشيشستر.

- لقد ذكرت الادوار المهمة فقط.

كان فيلكس يجلس مستمعاً لما يدور من حديث بينهما وهو يفكر.

- لقد مدحك النقاد كثيراً في شيشستر.

هزت فرنسيس رأسها موافقة.

- كان حظي كبيراً لوجود مخرج ممتاز وبعض الزملاء الممتازين في حقل التمثيل.

- هل قمت بأي عمل للتلفزيون من قبل؟ لا عم. . .

قطع كلامه صوت فيلكس وهو يعلق:

- التمثيل التلفزيوني يختلف تماماً عن التمثيل المسرحي. هل تعرف الآنسة هارون ذلك؟

نظر ديفريل اليها ورفع حاجبيه وهو ينتظر جوابها:

- نعم، اعرف ذلك. وانا متأكدة ان باستطاعتي ان اتعلم بسرعة. . . سيعلمني المخرج ما يلزمني من هذه المسائل التقنية.

كانت تخاطب ديفريل ولكنها تود ان يسمع فيلكس رأيها. ضحك توم ضحكة عالية وقال:

- اعتقد ان بامكانه تدريبك. لقد اعجبتني لهجتك الجنوبية يا آنسة هارون. يبدو انها طبيعية. . .

- نعم لقد امضيت سنوات طفولتي هناك.

- هذا يفسر ذلك لأنها تخرج طبيعية للغاية. (فرك ذقنه مفكراً ثم اكمل) هذا كل شيء الآن. . . سنتصل بك. لدينا عنوانك اليس كذلك؟ (مشى ديفريل نحوها وحمل سترتها يساعدها على ارتدائها) سنتصل بك خلال خمسة ايام لنعلمك رأينا. (مد يده مودعاً) انا سعيد لأنك قمت بتجربة الاداء ولو متأخرة. . . واعتذر بشأن ما حصل لك في المصعد. هل تعرفين طريقك الى الخارج؟

هزت فرنسيس رأسها موافقة.

- سأغيب عنك بعض الوقت يا فيلكس. انتظرني ارجوك.

ترك توم الغرفة مسرعاً بينما بقيت فرنسيس ترتب نفسها للخروج ببطء شديد. لن تدع فيلكس يقلقها او يربكها. عقصت شعرها من جديد ووضعته تحت القبعة وحملت حقيبة يدها. ألقت نظرة اخيرة الى فيلكس. كان يجلس على الكرسي وقد مد رجليه باسترخاء ووضع يديه خلف رأسه وهو يراقبها بتمعن.

قال:

- كنت محقاً بانك سريعة التأثر وشديدة الانفعال: الشعر الاحمر يتماشى مع عصبيتك.

- لقد سمعت هذا القول تكراراً وكدت اصدقه (حملت حقيبتها)

شعري كستنائي فاتح وليس احمر. . . اشكرك على الشاي. لقد انقذ حياتي.

هز رأسه مودعاً ولم يتكلم. كانت تعابير وجهه متوازنة ورصينة ونظراته متحدية. وقبل ان تصل الى الباب استدارت اليه وقالت:

- اعتقد انك من برج العقرب، تشرين الثاني (نوفمبر). انت عقرب مميز ومتكبر ومتعجرف.

خرجت مسرعة وتمنت لو ينقلب الكرسي من تحته ويقع على الارض. . . ولكن الكرسي لا ينقلب من تحت شخص مثل فيلكس. انه واثق من نفسه. . . انه كالديك بين الدجاجات.

قالت زميلتها زوي:

- لديك أمل كبير في الحصول على الدور. لقد قلت ان تأديتك التجربية كانت جيدة. . . وان توم ديفريل أعجبه شكلك الخارجي وجمالك وسرّ بلهجتك الجنوبية الاصيلة.

- وهل تعرفينه؟ هل هو المصدر المسؤول الذي له تأثيره في انتقاء البطلة؟

- لا. لقد سمعت عنه من صديق لصديق لي. (عبست قليلاً قبل ان تكمل قولها) أليس من المضحك توقف المصعد؟

- شيء مضحك للغاية.

- ولكنك معتادة على هذه الأمور؟

- ماذا تقصدين؟ أنا لم اعلق طوال حياتي في مصعد غير هذه المرة. . . ولا ارغب في تكرار ما حصل معي مرة ثانية.

- وماذا بشأن السيدة المريضة؟ لم يتوفر انسان غيرك لمساعدتها. لم يكن باستطاعتك اهمالها وتركها لحالها. . . والآن كل شيء تم حسب ما ترغبين. اعتقد ان الممثل ساعدك كثيراً باقناع توم ديفريل بسماع تجربة الاداء لك. قلت لي ان دور البطل بتروت يلائمه كثيراً؟

- اوه، نعم نعم.

كانت تقرأ جريدة المساء.

لقد اخبرت صديقتها الشيء القليل عن فيلكس ومع ذلك كان اسمه يتردد كثيراً في الحديث. هل ساعدها؟ كان لا يشارك في المحادثة وهما في المصعد. . . ولكنه ليس شخصاً كريهاً. خلال التجربة احست نحوه بكراهية فطرية. . . انه بارد ومتعجرف.

قالت زوي:

- لا اذكر ممثلاً بهذا الاسم؟ ربما هو ممثل تلفزيوني ونحن نعمل في الليل ولا نشاهد برامج التلفزيون. واذا حصلت على هذا الدور ستعملين في النهار وتجدين امسياتك فارغة لمشاهدة برامج التلفزيون. لقد انتظرت طويلاً وانت دون عمل. حان الوقت ان يبتسم لك الحظ. منذ عودتك من شيشستر تحولت مواهبك الدافئة الى ادوار كوميدية خفيفة في روايات بوليسية.

ضحكت فرنسيس وعلقت قائلة:

- لا يمكنك ان تلومي المخرجين ان وجدوا ان شباك التذاكر يتقبل هذه الروايات بحماس. كنت اتقاضى اجراً جيداً على هذه الادوار. اما من اجل شيشستر فالقصة تختلف. . .

- وهل انتهت علاقتك بمارك لوكاس كلياً؟

نظرت فرنسيس عبر النافذة وسرحت بافكارها تفكر بمارك.

- ان كنت تفضلين ان لا اتكلم في شؤونك الخاصة. . .

- لا يهمني يا زوي. لقد انتهى كل شيء بيننا منذ اسابيع. ستة اشهر تكفي لمعالجة جراح الحب. . .

- الحمد لله، انا اعرف ما قاسيت. . . ولكنني مرتاحة جداً لبعدك عنه.

- لم يكن لي خيار في الأمر. كان لا بد ان اقطع علاقتي به واهرب بعيداً عنه. كانت تجربة مؤلمة بالنسبة الي، ومن الآن فصاعداً سابتعد ما استطعت عن الرجال وسأعمل جاهدة لاحقق النجاح في عملي ومهنتي. تفكيري سيقتصر على هذا المجال دون غيره.

- وهل سيسمحون لك بذلك؟ ثم انك لست من النوع الذي

يفضل حياة العوانس. مشكلتك انك تجذبين اليك الشاب الطائش... وانت تحتاجين الى رجل قوي مسيطر. رجل يستطيع ان يجادلك كمنافس لك ولديه القدرة للسيطرة عليك. لقد قلت لك مراراً ان الرجال لا يحبون النساء القديرات المتفوقات والناجحات. قدرة المرأة في النضال تقتل شعلة الحب وتميتها. اعرف انك فتاة استقلالية وحرة التصرف والرأي ولكن هذا الدور في الحياة بغيض. تحتاجين لرجل يستطيع ان يتخذ قراراً بسرعة ويشجعك على ان تكوني السيدة الصغيرة... رجل بمستوى ذكائك تحترمينه وتستندين اليه.

- وأين اجده؟

- انه في كل مكان... فقط تأكدي انه لا يمثل عليك هذا الدور تمثيلاً.

- ولكنني لا التقي في حياتي العملية الا الممثلين... وأنا اكره الرجل المسيطر. وجوده قربي يزعجني. ولكنك لا تؤمنين بالحب؟

- استطيع ان اتزوج لأجل المال. اما انت فانا واثقة بانك لا تستطيعين ذلك. والآن بت اخاف عليك من الوقوع في الحب من جديد. ستة اشهر فترة طويلة بالنسبة الى شابة صحيحة تضع قلبها في ثلاجة... والآن اخاف ان تخسري قلبك من جديد لشخص تافه.

- لم يكن مارك بالرجل التافه.

- لا. ولكنه كان متزوجاً. كان امر زواجه لا يقلقه ابداً. لو لم يكتشف انك فتاة عفيفة لم تكن علاقته بك لتقلقه ابداً... هل تشربين قهوة؟

هزت فرنسيس رأسها موافقة. دخلت زوي الى المطبخ لتحضر القهوة لهما.

تذكرت فرنسيس لقاءها الاول بصديقتها زوي في معهد التمثيل منذ ست سنوات. زوي الكسندر الشابة السمراء النحيلة، الطويلة

القامة والتي تكبرها بسنتين فقط. فتاة ذكية وودودة. بادلتها الود وتبنتها في المعهد ودعتها لزيارة عائلتها بعد ان اكتشفت انها وحيدة في العالم. كان آل الكسندر يعرفون معنى الوحدة. لقد نزحوا عن فرصوفيا ولجؤوا الى انكلترا. رحبوا بفرنسيس واحبوها كمحبتهم لابنتهم. قالت زوي:

- اتصلت والدتي هاتفياً هذا المساء. اخبرتها عن تجربة الاداء وهي تتمنى لك النجاح وتنتظر رؤيتك على شاشة التلفزيون قريباً.

- اذا حصلت على الدور.

- ولماذا التشاؤم؟ هل هناك أي شيء اجهله؟ لقد قمت بالتجربة خير قيام. ثم...

فيلكس... هذا الرجل. يجب ان اعرفه، ما شكله؟ هل هو وسيم؟

- هذا يتوقف...

- ماذا؟ هل يحظى بقبولك؟ هل لديه جاذبية بحق السماء؟

ضحكت فرنسيس:

- نعم. لديه جاذبية. انه طويل واسمر وشديد الجاذبية. واعتقد انه محاط بالفتيات... لا يجد صعوبة في ايجاد رفيقة. هل هذا يشفي غليلك؟

- هذا يشفي غليلي... هل يروقك انت يا فرنسيس؟

- نعم يا زوي. وهذا ما يقلقني. اعتقد ان شعوري غير متبادل. ارجوك ان تحفظي نظراتك اللائمة بعيداً عني.

- وكيف عرفت ذلك؟

- لقد سمعته.

- ماذا سمعت؟

- حين عدت لأجلب قفازي... كان الباب مفتوحاً وسمعت توم ديفريل يطري قراءتي ويمدح جمال شعري ولونه وشكلي... ولكن الممثل المغرور قال يخاطب توم ديفريل ساخراً، ان لون شعري هو

بفعل الصباغ وان عليه ان لا يتأثر بنظرات العيون الزرقاء الساحرة...

ثم اكمل حديثه بأنني لست سوى كتلة متاعب بالنسبة اليه.

ـ انه متعصب. انه ممثل مغرور اناني. ارجو ان لا تقيمي اية علاقة معه... دعي غيرك يهتم بجنونه. ابتعدي عن الممثلين ارجوك (نظرت الى ساعتها) يا الهي، حان وقت عملي وعلي ان اسرع.

ـ وكيف يسير العرض؟

ـ على احسن حال. لا اصدق اننا نعرض المسرحية منذ ثمانية اشهر ولا يزال شباك التذاكر يسجل حضوراً تاماً.

وبعد ان غادرت زوي الى عملها عادت فرنسيس الى افكارها وامكانية العمل في التلفزيون. تساءلت، لماذا كان تعليق فيلكس بهذه الخشونة وتمنت ان لا يأخذ توم ملاحظاته بعين الاعتبار... انها تحتاج للعمل والحماس العاطفي قبل ان تموت الحياة بداخلها... وجع رأسها عميت منذ تركت تشيشستر وتشعر بانه بدأ يزايلها ويخرج من اطرافها. ربما فصل الربيع يعمل سحره الخاص وكذلك دور ماري ترويت مشجع ومثير لعواطفها الساكتة، خاصة ان لعب هذا الرجل المتغطرس دور برونت امامها.

وبعد اسبوعين التقت الشاب المتكبر فيلكس. دخلت باب الاستديو واصطدمت به وهو يخرج، ووجدت نفسها مرة ثانية في شبه عناق. تراجعت الى الوراء وقالت مدهوشة:

ـ اوه. هذا انت.

ـ ظننت انك انت على الفور... لماذا لا تنظرين امامك وانت سائرة؟

ـ آسفة. انها غلطتي...

انحنت لتلتقط المخطوطة التي وقعت ارضاً. وكان هو قد اسرع وحملها.

ـ لقد نلت دور ماري ترويت كما ارى.

ـ نعم. وقد حضرت اليوم واستلمت المخطوطة.

ـ هل انت سعيدة بذلك؟

ـ طبعاً. انا مسرورة جداً. (كانت ابتسامتها عريضة ومثيرة واكملت قائلة) انني متحمسة ولكنني خائفة قليلاً. اتمنى ان يكون المخرج صبوراً معي في البداية... هل ستلعب دور برونت؟

ـ لا. للأسف. لقد استمتعت باداء التجربة معك كثيراً.

كانت مسرورة جداً وجزلة وهي تقول له ساخرة:

ـ لا يمكنني ان اقول نفس الشيء.

سرحت قليلاً وهي تفكر بعناقه التمثيلي المتقن الذي حركها من رقادها وشعرت بحمرة الخجل تكسو وجهها.

قال وصوته حزين:

ـ شعرت اننا كنا متوافقين.

شدت فرنسيس على اسنانها وقالت:

ـ اشكرك لقراءتك دور برونت معي. لقد ساعدتني كثيراً في النجاح.

ـ لا شكر على واجب. انني مستعد دائماً لتقديم المساعدة وبأي طريقة...

ابتسم لها قبل ان يمشي في طريقه. تمنت فرنسيس لو تستطيع ان ترميه بأي شيء معها... ولكنها لم تكن تحمل غير مخطوطة التمثيلية وهي تحتاجها.

ما شأن هذا الرجل معها؟ كلما التقته وتحدثت معه يرميها بالكلمات اللاذعة الساخرة. قالت في نفسها: الحمد لله لأنه لن يلعب دور البطولة امامها والا لوجدت نفسها مضطربة وهي تقوم بادوار الحب معه وسط نظراته الساخرة الوقحة. ولكنه بالرغم من كل شيء جعلها تشعر بانها امرأة مرغوبة. وهذا ما ازعجها واقلقها كثيراً. منذ اشهر وهي تعيش دون احساس بالحياة. تأكل وتشرب

وتنام ولكن روحها في سبات عميق وقد ايقظها هذا الرجل. . . اعاد الحياة الى عروقها وجعل الدماء الحلوة تركض في شرايينها. معرفته تزعجها ولكنها لا تعرف لماذا. . . هي حتماً لا تحبه.

بعد ان غادرت الاستوديو توجهت الى محلات بيع الورود واشترت باقة ورد حملتها الى منزل السيدة المريضة. قرعت الجرس وفتح لها الخادم الباب وتعرف عليها على الفور.

قالت:

ـ حملت بعض الزهور للسيدة. اريد ان ازورها لاستفقادها. كيف هي الآن؟

ـ اهلاً وسهلاً بك. الليدي رافنسكار متشوقة لرؤيتك من جديد.

اجفلت فرنسيس لسماع اسم السيدة ودخلت خلف الخادم مترددة، كأنها في عالم جديد لم تعتد رؤيته. المنزل الفخم ادهشها. الأثاث الفاخر والتحف المعلقة وساعة قديمة كبيرة والمفروشات اللامعة والنظافة والترتيب المتقن. دخلت غرفة جانبية. هناك بيانو كبير في زاوية الغرفة بينما تدلت الستائر المخملية الخضراء من السقف الى الارض فوق السجاد الفاتح اللون. الموبيليا من صنع افخم بيوت الموبيليا في لندن وخزانة الفضيات مليئة بالأدوات الفاخرة. هناك مكتبة كبيرة رصت الكتب فوق رفوفها بترتيب. فتح باب جانبي ودخلت الليدي رافنسكار تتوكأ على عصاها وتمشي ببطء نحوها وهي تبتسم بسرور ابتسامة ودية محبة.

ـ يا عزيزتي. انا سعيدة جداً لرؤيتك مرة ثانية. اشكرك على الورود. انها جميلة. (نادت خادمها) سيمكن، ضعها في زهرية مع الماء. . . لماذا اختفيت يا عزيزتي يوم اوصلتني قبل ان اشكرك على مساعدتك؟ اجلسي.

يبدو ان الليدي مريضة بداء المفاصل او القلب.

ـ يبدو انك بصحة جيدة الآن. كم انا مسرورة. . . اما بشأن

اختفائي. . . كنت على عجلة من امري. . . ولكنني لم انسك منذ تركتك واليوم قررت ان ازورك.

ـ تسرني زيارتك كثيراً. طلبت بعض الشاي، ارجو ان تبقي معي لنتناوله سوية. (ابتسمت فرنسيس وهزت رأسها موافقة) عظيم، والآن اخلعي معطفك يا عزيزتي وارتاحي.

فعلت فرنسيس كما اقترحت عليها الليدي وشعرت انها تتلقى معاملة خاصة. كانت عينا الليدي تتفحصانها بدفء وحنان وود.

ـ انت شابة فاتنة. لنتعرف على بعض. حين اخبرت افراد عائلتي انني اجهل اسمك وعنوانك لم يصدقوني. . .

ـ اسمي فرنسيس هارون.

ـ فرنسيس. اسم لطيف ونادر في هذه الأيام. اسمي مارغريت رافنسكار. (وصل سيمكن يحمل الزهرية والشاي) ضع الزهور فوق البيانو. شكراً. ضع الشاي امامنا على هذه الطاولة.

وبعد خروج الخادم قالت الليدي مسرورة:

ـ فرنسيس، ارجوك ان تصبي لنا الشاي لأن يدي لا تساعداني في هذا العمر.

ـ طبعاً.

كانت فرنسيس تراقب الابريق الفضي اللامع وتتمنى ان تحسن التصرف. لقد امضت سنوات تصب الشاي على المسرح امام مئات العيون. . . العملية سهلة وهي تتقنها.

ـ تسرني زيارتك. وجه جديد شاب يضفي على روتين حياتي طعماً جديداً. انا ارملة منذ عشر سنوات. افراد العائلة يزورونني حسب ما تسمح به ظروفهم ولكن حياتي مؤخراً اصبحت هادئة باردة وانا مريضة.

ـ الا تشعرين بتحسن؟

ـ انا ممتازة صحياً بالنسبة لعمري يا عزيزتي. لقد اعتدت العيش مع آلامي واوجاعي، احياناً ابدو كامرأة مجنونة. . . ولو لم احظ

بمساعدتك في ذلك اليوم لكانت النتيجة مميتة، حسب رأي طبيبي الخاص. وعدته ان اتقيد بتعليماته في المستقبل. (ابتسمت ابتسامتها الودودة) انا لست على استعداد لمغادرة هذه الفانية بعد. . . لا يزال لدي بعض الأعمال لتصريفها. (اشارت الى صحن الكعك) خذي بعضاً من هذه الحلوى يا عزيزتي. انها لذيذة. اريد فنجاناً آخر من الشاي ارجوك. (انحنت فرنسيس وصبت لها فنجاناً) اخبريني ماذا تعملين بالاضافة الى مساعدة المسنات في محنتهن؟

- انا ممثلة. اعمل في المسرح.

- هذا مثير. عائلتي على علاقة وثيقة بالمسرح والتمثيل. عمتي اشتهرت بالتمثيل على المسارح ولكن افراد العائلة المحافظين قطعوا علاقتهم بها. انا شخصياً كنت آمل ان اصبح عازفة بيانو. درست عدة سنوات وتمرنت قبل زواجي.

- وهل لا زلت تعزفين؟

- فقط لأتسلى. لقد اصبح ذلك نادراً جداً. روحي تتوق لذلك ولكن جسمي لا يساعدني وهذا ما يكدرني. اكتفي الآن بالاستماع الى الموسيقى التي اهوى. انت اذن ممثلة. وماذا تمثلين في هذه الأيام؟

- لقد انهيت بعض الأعمال المسرحية في الموسم الماضي وسأبدأ التدريب على مسلسل تلفزيوني قريباً جداً.

حاولت ان تبدو غير متحمسة.

- التلفزيون؟ حقيقة؟ هل شاهدتك في برنامج ما؟

ضحكت فرنسيس وهزت رأسها نفياً.

- ابداً. هذا هو اول عمل تلفزيوني اقوم به.

- ماذا سيكون؟ تمثيلية؟

- نعم. انه مسلسل من عدة حلقات. ما يثير حماسي هو ان المسلسل تجري احداثه في الجنوب. . . في كورنوال حيث امضيت طفولتي. اتوق شوقاً للذهاب الى هناك من اجل التصوير الخارجي.

- هذا يثيرني ايضاً لانني اعرف كورنوال جيداً واحب المنطقة. هل

يسمح لي بمعرفة اسم المسلسل لأتأكد من مشاهدتك في التلفزيون حين يعرض؟

- بتروت. ولكنه لن يعرض قبل اشهر. ربما في نهاية السنة. هم يخططون مسبقاً لهذه المسلسلات.

اكملت فرنسيس حديثها مع الليدي واخبرتها تفاصيل حياتها السابقة. . . موت والديها وهي في الخامسة عشرة من عمرها. . . ثم لقاءها صديقتها زوي في معهد التمثيل ومشاركتها شقتها منذ ذلك الوقت.

نهضت فرنسيس لتودع الليدي قبل مغادرتها وقالت مبتسمة:

- آمل ان لا اكون قد اضجرتك كثيراً. لقد اطلت زيارتي كما يبدو.

هزت الليدي رأسها وهي تبتسم.

- ابداً يا عزيزتي. كانت زيارتك لي مفاجأة لذيذة. اتمنى ان تزوريني دائماً. كرم منك ان تمنحيني وقتك. (ترددت وهي تنظر اليها بسرور وقالت) ارغب في دعوتك لحفلة عشاء صغيرة ستقام هنا مساء الغد. الدعوة متأخرة ولكنني اريدك ان تنضمي الينا اذا كان وقتك يسمح بذلك. هل انت حرة؟ (نظرت بسرعة الى اصبعها ورفعت حاجبيها) لا خاتم خطوبة ولا صديق ادعوه لمرافقتك؟ (ابتسمت فرنسيس وهزت رأسها نفياً) لا افهم اين الشباب؟ كيف يتركون شابة فاتنة بجمالك دون ارتباط؟ ستحضرين؟

شعرت فرنسيس ان الليدي تريد ان تشكرها على مساعدتها ورأت ان من اللباقة ان تقبل دعوتها ولو اتت متأخرة.

- شكراً. ولكن. . . ألست متطفلة؟ لا يوجد لدي مواعيد. انا شاكرة لك دعوتك الكريمة.

- عظيم. سانتظرك لاعرفك الى افراد عائلتي. . . الموجود منهم (مدت يدها بطريقة ارستقراطية وصافحتها مودعة) انت فتاة طيبة وقد ابديت حناناً وعطفاً على سيدة مسنة في محنتها. هذا شيء نادر في

هذه الأيام. الناس يتراكضون ولا يهتمون لما يدور حولهم. لقد ادخلت السرور الى قلبي في زيارتك لي اليوم.

- وانا سررت بلقائك (أحمرت وجنتاها. . . لقد سرت بصدق الليدي وابتهاجها الحقيقي) انا لم افعل اي شيء. . . وسأحضر يوم السبت الى العشاء. متى؟

- في الثامنة مساء. مع السلامة يا فرنسيس. انتظرك يوم السبت.

تركت فرنسيس المنزل وهي مبهورة. الليدي امرأة مدهشة. تحسن الحديث وقوية الشخصية وساحرة الحضور. لقد دربت نفسها على تقبل مرضها بشكل مرض، عيناها تنبئان بالمزيد من المفاجآت.

العشاء المرتقب ولقاء اشخاص لأول مرة لم يكن ليضايقها في السابق. . . وهي تتقن استعمال الشوكة والسكين والتصرف بلباقة في عشاء رسمي. . . ولكن شعوراً غريباً غمرها واربكها، تكريم الليدي لها وقد غمرتها بلطفها. . . وقالت في نفسها: حفلة عشاء وتنتهي. . . تنتهي علاقتها بالليدي ولن تراها بعد.

كانت ردة فعل زوي غريبة. صمتت قليلاً وهي تفكر ثم انفجرت ضاحكة:

- يا الهي يا فرنسيس، الليدي ارملة قاض وتقولين انها ارستقراطية المحتد. . . من سيكون معك على العشاء؟ عليك ان تحسني التصرف وترتدي افخر الثياب لتليق بالمناسبة.

- لم افكر بعد في ثيابي. لا زلت استغرب وجودي في هذه الحفلة الخاصة.

ذهبت زوي مع فرنسيس الى خزانة الثياب وساعدتها في انتقاء الثوب الملائم.

- ارتدي هذا الثوب الأزرق بلون عينيك، نعم يا سيدتي المحترمة.

وفي مساء اليوم التالي وقفت فرنسيس امام المرآة تلقي نظرة اخيرة على شكلها. كانت تشعر ببعض الانقباض والارتباك. هناك بعض

الوجع في معدتها كما يحصل معها عادة قبل ظهورها على خشبة المسرح.

ثوبها الازرق ذو قصات بسيطة وفنية. اكمامه ضيقة ويظهر تناسق تقاطيعها. القبة واسعة مع عدة ثنيات حول الاكتاف. اخرجت فرنسيس ساعتها الذهبية ووضعتها بتأن حول معصمها كما تزينت بالقرطين الذهبيين. اعادت ترتيب شعرها من جديد وابتسمت لنفسها ابتسامة الرضى وحملت معطف صديقتها الواسع ووضعته على اكتافها ونزلت الى المدخل تنتظر وصول سيارة الاجرة التي ستقلها الى حفلة العشاء.

وصلت الى القصر وتنبهت الى وجود سيارات عديدة متوقفة امام المدخل الرئيسي. صعدت الدرجات الحجرية القليلة وقرعت الجرس بحذر. كانت تشعر بأن القدر قد خبأ لها سهرة مثيرة وبأنها ستتذكر هذا العشاء في المستقبل. املها وتفاؤلها شجعاها على دخول المنزل حين فتح لها الخادم سميكن الباب وحمل لها معطفها وقادها الى قاعة الاستقبال ذات اللون الاخضر. وحين دخلت وجدت ان هناك ما يقارب الاثني عشر شخصاً من المدعوين قد سبقوها. شعرت بأن المدعوين صمتوا قليلا وهم ينظرون اليها بفضول وهي تتقدم من الليدي رافنسكار لتسلم عليها.

- مساء الخير يا سيدة رافنسكار.

كانت الليدي ترتدي ثوباً اسود من القماش اللامع وقد زينت اذنيها بقرطين من الماس ووضعت في جيدها عقداً من اللؤلؤ بينما زينت اصابعها باكثر من خاتم ثمين من الحجارة الكريمة. وعقصت شعرها الاملس وجعلته كالتاج فوق رأسها وقد وضعت قليلاً من مساحيق التجميل على وجهها وشفتيها.

- فرنسيس. انا سعيدة ان اراك مرة ثانية. كيف حالك يا عزيزتي؟

- اشكرك. انا بخير. اتمنى ان لا اكون قد تأخرت عليك. . .

ولكن التاكسي...

- لا. لم تتأخري. لا زلنا ننتظر شخصاً متاخراً غيرك. تعالي لاعرفك على المدعوين. لن تتذكري الاسماء ولكن لا بأس.

ابتسمت فرنسيس لكل شخص تعرفت اليه. كانت الليدي تعرفهم عليها بقولها:

- انها [illegible] الذي انقذ حياتي يوم داهمتني نوبة قلبية في شارع ريجنت... لقد اثقلت على فرنسيس ولكنها لا تحب ان تتباهى بمساعدتها. ولكن الطبيب غاريت سيؤكد لكم كلامي (نظرت الى الطبيب وقالت): غاريت، سأترك فرنسيس بين يديك لترعاها وتسليها.

هز غاريت رأسه موافقاً وتقدم منها مبتسماً مسروراً بهذه المهمة السعيدة وقال:

- وليام غاريت وليام.

كان الطبيب في الاربعين من عمره. ذكي التعابير ودافىء الصوت، واثق من نفسه ومترفع في تصرفاته.

- اهلاً وسهلاً. تشرفت بمعرفتك. هل ترغبين في بعض الشراب يا آنسة هارون؟

- شراب الكرز. شكراً.

- سأؤكد ما قالته مارغريت. اهنئك على سرعتك وانتباهك لحالتها.

- كان والدي طبيب وقد اكتسبت منه بعض الخبرة في هذا المضمار. انا سعيدة لانني استطعت ان اساعدها وقت الحاجة، ولكنني اتمنى لو تكف الليدي عن شكري امام المدعوين... ان ذلك يربكني.

- لا يمكننا مناقشة الليدي، ولكنها فهمت خطورة وضعها كمريضة... اخيراً. لست ان شفاءها لا يتم [illegible]... فانا كطبيب لا اصنع المعجزات بل انصحها وارشدها لما فيه خيرها. ولقد

تركت لها امر العناية بنفسها.. وبعد ما حصل لها مؤخراً اصبحت اكثر حرصاً على اتباع ارشاداتي.

شعرت فرنسيس بصدق عاطفة مرافقها لمريضته، واحست برابطة الصداقة المتينة التي تربطه بافراد العائلة. كرر لها اسماء المدعوين مع شرح بسيط لكل واحد منهم. معظمهم من الأقارب واثنان فقط من الاصدقاء القدامى. كانت فرنسيس اصغر المدعوين.

نهضت الليدي فجأة من مجلسها وقالت بلهجة آمرة:

- علينا ان نبدأ في تناول العشاء. لا نعرف متى سيصل ابني. لا اريد ان يفسد الطعام ونحن ننتظره. ربما حصل ما اعاقه عن موعدنا. هيا يا برترام تقدم الى غرفة الطعام ونحن نلحق بك.

برترام هو شقيق زوجها. وهو رجل عسكري اعتاد الانضباط والنظام. لقد امضى حياته في الخدمة العسكرية. وقال:

- لا يمكننا ان نفسد عليك حفلة عيد ميلادك.

قالت فرنسيس:

- لم اكن اعرف ان الحفلة هي حفلة عيد ميلادك يا ليدي رافنسكار.

- وكيف تعرفين ذلك يا صغيرتي؟ لو اخبرتك لشعرت ان من واجبك ان تحضري لي معك هدية... وانا رغبت في وجودك معنا ليس الا.

امسكت الليدي بذراع فرنسيس ومشت معها الى غرفة الطعام.

وبعد قليل تذكرت الليدي حقيبة يدها وطلبت من فرنسيس ان تحضرها لها. وحين عادت فرنسيس اكتشفت ان الشخص المتأخر قد وصل اخيراً... وقفت في الباب مترددة، لا تريد الازعاج، وهي ترى الليدي تسلم على القادم بحرارة ودفء وهي تقول:

- لقد وصلت يا عزيزي. عرفت انك ستحضر ولو متأخراً. لقد ضجر عمك برترام من الانتظار وكدنا ان نتعشى دونك.

خلع الشاب القادم معطفه وناوله الى سيمكن وبعد ذلك أخذ الليدي بين ذراعيه بحنان ظاهر وهو يقول:

- انا آسف جداً يا اماه. لقد اخرتني عنك بعض الأعمال الملحة. حاولت ان اتهرب منها ولكنني لم افلح (نظر اليها مادحاً) تبدين جميلة وصحتك ممتازة واصغر سناً... ميلاد سعيد يا حبيبتي

- اشكرك يا بني على هديتك. لقد ارتديت خاتمك (فتحت يدها لتريه الخاتم في اصبعها) انها هدية جميلة للغاية. (لمح فرنسيس وهي تتلكأ في مؤخرة الغرفة. لمحته والدته ينظر اليها. اضافت بسرعة) آه. فرنسيس يا عزيزتي. لقد عدت بالحقيبة. شكراً. يمكنني الآن ان اعرّفك الى ابني فيلكس... فيلكس هذه هي فرنسيس هارون.

كانت الليدي تنظر اليها باعتزاز وفخر وتستطلع رأي ابنها بفرنسيس من تعابير وجهه وقد ظهر على وجهها طيف ابتسامة حقيقية.

تسمر فيلكس في مكانه من الدهشة. تعجبت فرنسيس وهي تردد في نفسها: فيلكس هو ابن الليدي راونسكار... لباسه الآن يختلف كثيراً عما رأته من قبل. انه اكثر وسامة في لباس السهرة الأنيق. قميصه الناصع البياض ورأسه المتعالي وطريقته الارستقراطية ونبرته الآمرة... لون عينيه الساحرتين يحيرها... ولقد ظهر الغضب بوضوح فيهما ومد يده ليصافحها وقد ارتدى قناعاً مبهماً على وجهه.

قالت الليدي:

- هيا بنا ندخل غرفة الطعام... لقد حضر برترام خلفنا. سأسبقكما مع برترام. فيلكس اهتم بفرنسيس...

بدأت فرنسيس تتحرك نحو غرفة الطعام ولكن فيلكس امسك بذراعها بقسوة واوقفها قائلاً:

- انتظري لحظة. اريد ان اكلمك. ماذا تفعلين هنا بحق السماء؟

حدقت فرنسيس به بائسة وقد ارتبك شعورها واختلط عليها الأمر. حاولت ان تبقي على رباطة جأشها ما امكنها. كل شيء يسير

بسرعة حولها. وهذا الرجل غاضب لسبب تجهله كلياً ولكن جام غضبه قد صبه فوق رأسها...

- ما الأمر؟ انا لا افهم...

- من دعاك الى هنا؟

هزها بقسوة. تعثرت وكادت تسقط. ابتعدت عنه مسرعة. حضر سيمكن وقال:

- سنقدم طعام العشاء فوراً يا سيد فيلكس...

- شكراً يا سيمكن. سندخل بعد لحظة واحدة.

مشى الخادم وهو يحمل صينية الطعام. انتظرت فرنسيس حتى اختفى وقالت ببرودة:

- لقد دعتني والدتك...

ومشت دون ان تنتظر جوابه. حاول فيلكس اخفاء غضبه بجهد جهيد وهو يلحق بها.

سمعا ضحكات تتصاعد من غرفة الطعام قبل ان يدخلاها. بدأ فيلكس يتمتم غاضباً ثم قال لها:

- سأتحدث معك فيما بعد... الحديث غير ممكن الآن.

- من قال لك انني ارغب في الحديث معك يا سيدي؟ (نظرت الى يده الممسكة بذراعها بخشونة وافلتتها على الفور واكملت) لو لم يكن ذهابي الآن يسيء الى والدتك ويسبب لها بعض الكآبة في ميلادها لغادرت الحفلة على الفور... سأحاول ان اتغاضى عن طريقتك البربرية الجلفة غير المهذبة... اتمنى لو تبقي يديك لنفسك وكذلك تصرفاتك غير اللائقة.

تركته ومشت الى غرفة الطعام.

٣ - دور رئيسي في الحياة

يعد ان انتهى صنف الطعام الأول بدأت الليدي تدير الحديث في الوجهة التي تريد... سألت ابنها ببراءة خادعة.

- اعتقد انك فوجئت بوجود فرنسيس معنا هنا في هذه السهرة.

نظر اليها فزعاً ثم حدق بسرعة في فرنسيس التي كانت تجلس قربه ثم نظر الى والدته من جديد وقال:

- نعم لقد فوجئت بوجودها.

كانت فرنسيس تود لو تضحك وتنسى ما حصل، ولكنها كانت غضبى ومرتبكة وهي ترى جميع المدعوين يراقبون الحديث باهتمام كلي وخاصة غاريت الذي قال مستوضحاً:

- هل لك يا مارغريت ان توضحي لنا الأمر؟ لقد سررنا جميعنا بوجود فرنسيس معنا ولكن لماذا تعتبرين وجودها مفاجأة لفيلكس؟

قالت الليدي:

- لأن فرنسيس هي الشابة التي انقذت حياتي وساعدتني يوم مرضت في السوق وحملتني الى بيتي.

حاول فيلكس ان يتحكم باعصابه. شد كثيراً على اسنانه وايقنت فرنسيس ان براعته في حقل التمثيل ساعدته في السيطرة على نفسه وقال:

- انت مسرورة جداً يا اماه بمفاجآتك (التفت الى فرنسيس واكمل كلامه) دعيني اضيف شكري وامتناني لمساعدتك القيمة في انقاذ

والدتي في ذلك اليوم.

كان صادقاً في قوله. سرها تواضعه واعترافه بفضلها واحست بانتصارها عليه في هذه المعركة. نظرت اليه نظرة مؤنبة جريئة ثم اكملت طعامها وهي مبتهجة.

قال برترام:

- اين الصدفة في ذلك؟ انا لا افهم المفاجأة. هل لك ان تشرحي لي؟

- فرنسيس تعمل ممثلة يا برترام وقد اسند اليها مؤخراً دور البطولة في المسلسل التلفزيوني الجديد... (ابتسمت فرنسيس وهي ترى كل العيون تنظر اليها وخاصة عيني فيلكس الجالس عن يمينها) وفيلكس هو مخرج المسلسل.

اختنقت فرنسيس بطعامها من المفاجأة. نظرت الى زجاجة الماء وقام فيلكس يملأ لها كأسها. وبعد ان استعادت تنفسها الطبيعي نظرت اليه متسائلة وهي لا تستطيع ان تخفي رعبها وفزعها. رفع فيلكس حاجبيه متسائلاً وهي تسأله متلعثمة:

- انت؟ انت... مخرج... بيروت؟

- نعم. الم تعرفي؟

- وكيف اعرف؟ لم يخبرني احد.

اكملت فرنسيس تناول طعامها الذي اصبح دون طعم. انتابها شعور غريب وهي تعود بذاكرتها الى يوم اداء التجربة علها تجد ما يشير الى هذه الحقيقة التي كانت تجهلها... ما الذي جعله كمخرج يتقمص البطل امامها ويظهر كأنه ممثل؟ انها تكرهه... لم يخبرها بأي شيء حول هذا الموضوع. لقد ارتبكت كل الأمور في عقلها... هو مديرها المباشر. هو مخرج المسلسل، المتكبر المتعالي... هو الذي يثيرها ويثير غضبها و...

لاحظت فرنسيس ان فيلكس بدأ يجيب عن الاسئلة التي توجه اليه حول المسلسل الجديد.

قالت الليدي:

- كنت ارغب في مفاجأتك ولكنك افسدت كل خططي بتأخرك (نظرت الى فرنسيس واكملت) سامحيني يا صغيرتي، عندما اخبرتني عن قيامك بدور البطولة في هذا المسلسل كنت اعرف ان فيلكس هو المخرج واردت ان افاجئكما معاً بهذه الحقيقة.

- ولقد نجحت يا اماه.

ابتسم لها ابتسامته العريضة الساحرة.

ودار الحديث حول طاولة الطعام عادياً بعد ذلك.

التفت فيلكس الى جارته وتمتم بصوت خفيض:

- سيبدو الأمر غريباً لو تفاديت الحديث معي طوال السهرة. حاولي يا فتاتي ان تتغاضي عما حصل. انت طيبة القلب... اعملي قصارى جهدك.

بدأت فرنسيس تقول في نفسها: انه مديرك... وستعملين تحت امرته فترة عشرة اسابيع مقبلة...

- لم يعد لدي اي حديث لائق ومهذب معك.

- اذن حاولي حديثاً غير مهذب وانا واثق بانك لن تجدي صعوبة...

سحبت نفساً عميقاً وقالت في نفسها: هي لا تحبه وهو ايضاً لا يحبها. الشعور بينهما متبادل. حاولت الهجوم بدل الدفاع وقالت محتدة:

- ما سبب غضبك هذا المساء؟

- ظننت انك تستغلين والدتي من اجل مقابلتي.

كان تفسيره صاعقاً. لم تنتظر هذا التبرير المخجل.

- انا لم اربطك بالليدي بأي شكل... وكيف يمكنني ذلك وانا اجهل اسم عائلتك كلياً... لو سمعت الاسم لم يكن ليعني بالنسبة الي اي شيء.

- انت تتعمدين تجريحي وتقللين من شأني مما يجرح كبريائي. (قال

ساخراً) هل اساعدك ببعض الشراب المهضم؟

- ظننتك ممثلاً.

- كنت ممثلاً. عملت في المسرح فترة طويلة. بدأت بالتمثيل ثم التزمت الاخراج حين سنحت لي الفرصة. ونجحت على ما يبدو في الاخراج التلفزيوني. كان التلفزيون في بداية عهده ويحتاجون للعديد من المتخصصين. طلب مني البقاء وبقيت. والآن وبعد ان توسع العمل التلفزيوني وتشعب ونضجت صناعته واينعت توصلت انا بجهدي الى هذا المركز المرموق. ولحسن حظي انني دخلت في حينه لأن الامر اصبح اكثر تعقيداً الآن والمنافسة على اشدها.

حين يترك فيلكس سخريته وعجرفته يصبح شخصاً مسلياً ومحدثاً لبقاً يجيد فن الكلام وتوزيع الحديث.

- هل ظننت انني بعد ان وقعت عليك وبقيت معك دقائق معدودة في داخل المصعد وقعت صريعة حبك، وحاولت بطريقة ماكرة ان اجعل نفسي مدعوة الى العشاء في بيت والدتك هذه الليلة؟ (رفعت حاجبيها ساخرة) يا سيد راتسكلر، انا واثقة انك على علم تام بجاذبيتك ولكنك تحمل الأمور اكثر مما ينبغي.

مر الخادم يحمل صحناً من الخضار للمدعوين وبعد ان تناولا حاجتهما اجابها:

- تتعجبين اذا اخبرتك ما تقوم به الممثلات من اعمال جريئة للحصول على ادوار مختلفة. (قال ساخراً وهو ينظر اليها) كنت واثقاً من ان مركزي ونفوذي هما اللذان جذباك الي وليس جاذبيتي.

- حقيقة؟ لا بأس ولكنني اؤكد لك ان هذا التصرف ليس من طبعي... لماذا لم تخبرني عن نفسك عندما طلبت منك مساعدتي لمقابلة توم ديفريل؟

- لم اكن مخرج المسلسل بل كان توم هو المخرج.

ابتسمت له ابتسامة بلهاء كأنها تشفق عليه وقالت:

- انا لست غبية، انا واثقة بأنه بحث معك امر اختيار الممثلات.

(نظرت اليه بفضول واكملت) وانا لا اعرف كيف حصلت على الدور. لقد شعرت شعوراً اكيداً بانك لا تحبني ولا توافق على اختياري يا استاذ رافنسكار.

- انا لا ادع شعوري الشخصي يتدخل في عملي يا آنسة هارون. دور ماريت ترويت كان متارجحا بين اثنتين ولقد فزت انت. لقد اعجب توم ديفريل بسحر شعرك ولونه.

- وهو ليس بفعل الصباغ كما قلت له.

قالت ذلك واستدارت لتتحدث مع الطبيب غاريت الذي كان يجلس عن شمالها وقد سره اشراكها في الحديث الذي كان يدور حول رواية نزلت حديثاً الى السوق وبيعت بكميات كبيرة.

ابدت فرنسيس رأيها حول الموضوع المثار بكفاءة. كانت تحس بوجود فيلكس عن يمينها بالرغم من تجاهلها له. من الواضح انه يثيرها بل يزعجها. كانت ترى ابتسامة الليدي نحوهما وهي تراقبها راضية.

كان فيلكس بالنسبة لليدي رافنسكار هو قرة عينيها واغلى ما عندها. قالت فرنسيس في نفسها: ربما كنت اشاطرها شعورها نحوه لو تقابلنا في ظروف مغايرة. ربما سيخيب امل الليدي لو فهمت حقيقة شعورها نحو وحيدها.

انه حتماً يجذبها... دفعت شعرها بيدها وهي تقنع نفسها قائلة: هناك آلاف الرجال لهم جاذبيته ووسامته... لهم صوت دافىء يدخل القلوب، تسر عشرتهم واذكياء مثله.

بعد مغادرة غرفة الطعام جلست فرنسيس بالقرب من الطبيب غاريت الذي تناول في حديثه عملها وقال:

- انت شديدة الحظ في عملك تحت اشراف مخرج ممتاز مثل فيلكس.

- هذا يشجعني وانتظر ان يساعدني في عملي. انا اعرف مخرجين يعملون في المسرح.

- فيلكس في مركز متسلط في التلفزيون. فريق العمل التقني يسعدهم العمل تحت امرته... انهم الحاكم العادل على كفاءته، فالتقنيون يفضلون العمل مع الأفضل. (ابتسم وهمس في اذنها) لا تنزعجي من تدخل الليدي في تدبيرها. انها فخورة بابنها وهو جدير بفخرها. انه شاب ناجح يجيد عمله. اعرفه حق المعرفة كما اعرف شقيقته جاسيكا منذ سنين عديدة.

- انت محام بارع اكثر منك طبيباً للعائلة.

مشى غاريت نحو فيلكس الذي كان يقف قرب المكتبة. راقبتهما فرنسيس. كلاهما اسمر ولكن فيلكس اطول ويتحرك ببطء اكثر، بينما غاريت في حركة دائمة يشع بالحيوية والنشاط وهو يتكلم بيديه وعينيه السوداوين المعبرتين.

طلبت الليدي من ابنها ان يعزف لهم ولكنه قال:

- اعتقد ان السيدة التي نحتفل بعيد ميلادها هي التي ستعزف لنا، انها افضل عازفة بيننا.

- لا يا فيلكس. لن اعزف هذه الليلة. انا احتفل بعيد ميلادي وعليكم تسليتي وادخال السرور الى قلبي.

قام غاريت ودفع فيلكس نحو البيانو قائلاً:

- بما انني الطبيب فانني اقترح عليك ان تعزف لتدخل السرور الى قلب الليدي المعظمة.

- حاضر.

مشى غاريت بعد ذلك وجلس على الاريكة بالقرب من فرنسيس. سألته:

- وهل تعزف انت ايضاً يا دكتور؟

هز رأسه نفياً وقال:

- لا. لا وقت لدي ولا موهبة. (نظر الى فيلكس واكمل حديثه قائلاً) كان بامكانه ان يصبح عازفاً لو تابع دراسة الموسيقى.

صمت الجميع بينما انسابت موسيقى شوبان وملأت الغرفة.

جلس فيلكس يعزف باتقان ومهارة. اغمضت فرنسيس عينيها وتركت للموسيقى ان تدخل كيانها. وبعد انتهائه نال تصفيقاً حاداً من الجميع وبدأ غاريث يغني اغنيات معروفة يتابعه فيلكس في العزف على البيانو، واشترك الجميع بعد ذلك في الغناء. سرت فرنسيس بما يدور حولها وشعرت بسعادة حقيقية والفة وود.

انتهت السهرة ومشت فرنسيس لوداع الليدي التي طلبت اليها ان تكرر زياراتها في اقرب فرصة وهي تقول:

- اعرف ان المسلسل يحتاج لبعض الوقت ولكنني اريد ان اعرف كل شيء عنه وعن كورنوال... اريد ان اعرف رأيك بفيلكس المخرج.

قال فيلكس معترضاً:

- اماه. لن تقول الآنسة لك الحقيقة (عاد يحمل معطف فرنسيس بعد ان ارتدى معطفه) وانت لن تصدقي الا المديح عني.

- اوه لماذا؟ و انا اعرف كل اخطائك.

- مساء الخير يا اماه. انتبهي لنفسك ولصحتك.

عانقها مودعاً.

- هل ستوصل فرنسيس الى منزلها في طريقك؟

ساعد فرنسيس في ارتداء معطفها وامسك بشعرها يبعده عن قبة المعطف:

- طبعاً.

- الا توافق يا فيلكس ان شعرها جميل!

- بلى. واؤكد لك ان لونه طبيعي وليس بفعل الصباغ.

نظرت الليدي اليه فزعة مما قال وعلقت:

- اعرف ذلك ولكن لماذا تؤكد لي؟

لم يجبها بل امسك بذراع فرنسيس وقادها نحو الباب مسرعاً بالخروج. وقفت الليدي مسرورة جداً وهي تودعها وتحيك في رأسها قصصاً، وتمني نفسها بنجاح خطتها في جمعهما في قصة حب من نسج

خيالها.

لم تتكلم فرنسيس في طريق العودة. لقد قال لها انه سيتكلم معها في وقت لاحق... ولا بد انه سيتكلم متى يرى ذلك مناسباً. جلست قربه في سيارته اللانسيا السوداء الفخمة والمريحة، ونظرت خلفها الى المنزل الذي غادرته وتذكرت ساعة وصولها وشعورها بأن القدر يخبىء لها مفاجأة في هذا المنزل...

والآن وبعد ان عرفت ان قدرها مرتبط بهذا الرجل ارتباط عمل وثيق شعرت ببعض الامتعاض والغيظ.

- آنسة هارون... اين تقطنين؟

- منطقة لامبث.

قيادته سلسة ومريحة وقد شعرت بأمان وهي معه وتلاشى غضبها تدريجياً. السهرة ممتعة ولولا بدايتها السيئة معه... قالت في نفسها: من الجنون ان تبدأ معه علاقة متوترة اذا كان عملها يرتبط به مباشرة. من الجنون ان لا تتوصل معه الى هدنة او تسوية...

- الى الشمال او الجنوب؟

- الى الجنوب بالقرب من مركز البلدية.

- حسناً. اعرف المكان. (قاد السيارة بمهارة واكمل بعد قليل) عرفت الآن انك تأخرت عن اداء التجربة في موعدها بسبب مساعدتك لوالدتي.

- نعم.

- هذا يجعلني سعيداً لأنني افسحت لك المجال لاداء التجربة متأخرة. فلولا مساعدتك لما كنا نحتفل اليوم بعيد ميلادها. كنت تعرفين انك بمعاونتك لها ستخسرين فرصة كبيرة في عملك، ومع ذلك لم تتأخري عن مد يد المساعدة لها... قليلون يفعلون ذلك ويتخلون عن انانيتهم ومنفعتهم الخاصة.

كان كلامه مديحاً ولكن لهجته مزعجة كمن يعترف بذنب اقترفه.

نظرت فرنسيس عبر النافذة الى نهر التيمس والأنوار التي تنعكس على

سطح الماء وقالت:

- ولحسن حظي انك لم تكن تعرف هذه الحقيقة والا لكنت ظننت انني حصلت على هذا الدور جزاء عملي.

- عندما تتعرفين الي عن كثب يا آنسة هارون تعرفين انني لا امنح الدور لأحد الا عن جدارة واستحقاق.

سرها سماع اقواله، ولكنها لم تصدقه لعلمها ما تفعله بعض الممثلات من امور رهيبة مخجلة لقاء حصولهن على دور.

وحين وصل الى منزلها قالت له مترددة:

- شكراً لتوصيلك لي. لقد شكرت والدتك على هذه السهرة الممتعة. اوجوك ان تكرر شكري لها...

- اعتذر منك عن تصرفاتي الشائنة ساعة تقابلنا هذا المساء. كانت تصرفاتي غير لائقة دون سبب واضح. اسرعت في استنتاجي الخاطىء... وقد انزعجت وفقدت السيطرة على رباطة جأشي لأسباب واهية...

بقيت فرنسيس تستمع اليه صامتة دون تعليق. لقد حيرها، انه لغز. شخص متوازن مثله بدا غضبه غير مقبول اطلاقاً. اكمل فيلكس حديثه دون ان يلمس اي تجاوب منها:

- كنت دائماً اجيب من يسألني عن اسباب نجاح المخرج.. وأقول: انه الرجل الأهم والمحور الذي يرتكز عليه البرنامج التلفزيوني الناجح. المخرج الناجح يحتاج لحكم عادل ويستطيع التعامل مع جميع فئات الناس. الشخص الذي يوحي بالثقة والحماس. يحسن التخطيط والتنظيم ويستطيع ان يوكل ببعض اعماله الى مساعديه بكفاءة. هو المسؤول الأول امام الجميع. يستطيع ان يتقبل النصح او يرفضه ويبقى على رباطة جأشه تحت وطأة ضغوط العمل وملابساته. (ضحك ضحكة باهتة واستدار لينظر اليها واكمل) ولا يستطيع اي رجل ان يكون مثالياً مهما حاول. الضغوط احياناً لا تحتمل. عملي متشعب الاقسام وانا المسؤول

الأول يا آنسة هارون. وانا اتحمل مسؤولياتي بشجاعة ومقدرة وحين افشل في تحملها سأتنحى عن عملي فوراً..، قبل ساعة من حضوري لحفلة عيد ميلاد والدتي طرأ طارىء عمل مفاجىء لم يكن في الحسبان. كان علي تنظيم اجتماع عمل مع مجموعة من المندوبين في كورنوال... المشروع يحتاج لآلاف الجنيهات الاسترلينية وهذه الحقيقة تتطلب دراسة وافية وتخطيطاً لأن كل تأخير في برنامج العمل الموضوع يكبد الميزانية مئات الجنيهات وربما الألوف. (نظر اليها مستطلعاً ادراكها لما اخبرها واكمل) ربما ضغط ذلك الاجتماع كان اكثر مما احتمل، وجاءت ردة الفعل الكريهة عندما التقيتك...

- فهمت...

رفع حاجبيه متسائلاً وقال بخبث:

- طريقتي في مقابلتك اغضبتك وربما افسدت عليك السهرة لو لم يكن غاريث جارك على طاولة الطعام الذي احاطك باعجابه وانتباهه. لقد تجاهلت وجودي المزعج قربك فترة طويلة... وربما ساعد الطعام الجيد في تبديد تجهمك اليس كذلك؟

نظرت اليه لا تصدق ما تسمع، ولكنه تابع تحديقه فيها يراقب ردة فعلها التلقائية على اقواله.

قالت بعصبية:

- انك شخص لا يحتمل يا استاذ رافنسكار. انت تعرف جيداً انني سأسامحك.

- اتمنى ذلك من كل قلبي. يبدو انك انسانة كريمة متسامحة ولطيفة.

- هل صادفك مرة في حياتك لغز محير لم تستطع ان تحل رموزه؟

فغر فمه عن ابتسامة باهتة ثم لمعت شرارة في عينيه وقال متشدقاً:

- لا اعتقد ذلك. الحمد لله.

- ليكن الله بعون الذين يتعاملون معك يوم يحصل مثل هذا الأمر معك.

بدأت تحاول الخروج من السيارة بحماس ظاهر.

- ارجوك ان تبقي قليلا... هناك امر آخر اريد ان ابحثه معك.

تسمرت في جلستها وبدا الجد على محياها. بقي فيلكس صامتاً فترة ينظر عبر النافذة وهو يفكر كيف سيبدأ حديثه معها، واخيراً بدأ...

- والدتي معجبة كثيراً بك. لقد احبتك يا آنسة هارون... وهذا طبيعي لأنها تعتبر انك انقذت حياتها.

- هراء. لا اريدها ان تعتقد ان ذلك حقيقة.

- وهي ترغب في مكافأتك بما يناسب. لديها بعض الأماني التي اصبحت اكثر وضوحاً بالنسبة اليها. امنيتها في تزويجي وبسرعة... بعد ان شارفت على نهاية عمرها. وقد قررت ان الفتاة ذات العينين الزرقاوين والشعر الأحمر تنسجم وتناسب مخططها، وهذا يفرحها ويبهجها كثيراً لترى في احفادها عينين زرقاوين...

- اعتقد انك تثرثر كالمحموم ولا معنى لما تقول. انك تتكلم زيادة (ضحكت كثيراً) لقد قابلتها البارحة فقط وهي لا تعرف عني اي شيء...

- لقد قامت بتحرياتها عنك اكثر مما حاولت انت ان تعرفي عن عائلتنا. فقط اطلب منك ان لا تدعي افكار سيدة عجوز تخدعك يا آنسة هارون، واؤكد لك انها بالرغم من مرضها فهي سيدة قوية الشكيمة واذا صممت على امر لا تتوانى عن تنفيذه... وحين عرفت انك ستمثلين في المسلسل الذي سأخرجه بدأت تنسج خيوط تمثيلية حقيقية تقومين فيها بدور رئيسي في حياتي ومنزلي...

- لا زلت اعتقد انها تمزح.

- انا في السادسة والثلاثين من عمري... وبالنسبة لتفكير والدتي كان علي ان اتزوج منذ فترة بعيدة. لقد عاشت لترى زواج شقيقتي جاسيكا وهي مصممة ان تعيش طويلاً لتتأكد من زواجي واستقراري بأمان قبل ان ترتاح وتغادر هذه الدنيا... وانا اشك في

هذا الأمر كلياً. هي الآن تشعر انها مدينة لك وكونها امرأة كريمة سمحة ستهبك هدية غالية جداً، واغلى ما عندها في هذه الحياة... ابنها ووحيدها. لا يهمها ابداً ان تعرف انني لست هدية ممكنة لأي امرأة...

- هذا غير صحيح.

- اتمنى ذلك. لقد مررت بمناسبات عديدة مماثلة من قبل وكنت انجح في الهروب... ولكنني اشك الآن بمقدرتي.

- ولكنك ان استطعت التملص سابقاً ستتمكن من ذلك الآن.

- اتمنى ذلك... واصر عليه، اردت فقط ان اتأكد من فهمك لهذا الموضوع.

تنهدت وسحبت نفساً عميقاً ثم علقت قائلة:

- انك شاب مغرور يا استاذ رافنسكار...

ابتسم فيلكس ابتسامة ساخرة باهتة واكمل:

- يا فتاتي العزيزة... والدتي لديها من الغرور ما يكفينا كلينا... ورغبتها اوامر.

- افهم الأمر جيداً. واشكرك على توضيح الموضوع بهذه البساطة. افهم الآن جيداً ان ليس في نيتك الارتباط بروابط زواج مع اية فتاة، وملاحظاتك الساخرة حول مؤسسة الزواج لم تخف علي.

- هذا صحيح يا آنسة هارون. انني وجودي واؤمن بالواقعية... وما خبرته وعرفته عن مؤسسة الزواج لا يشجعني على تذوق ملذاته وجنانه.

- ولكن هناك زواجاً سعيداً ودائماً.

- لكل قاعدة استثناء... الزواج السعيد الدائم هو الاستثناء. (فتش في جيبه واخرج مفكرة صغيرة وقلب صفحاتها بسرعة وقال) هل ترغبين في جولة في استوديو التلفزيون في الاسبوع المقبل؟ سنبدأ التمارين يوم الاربعاء المقبل واقترح زيارة الاستوديو صباح

الثلاثاء في العاشرة والنصف. ما رأيك؟
حدقت فرنسيس به متعجبة وقالت:
ـ ظننت ان الفكرة تتلخص في الابتعاد عني حتى لا تفسح اي مجال لتفكير والدتك الوردي بشأننا... ألست تعالج الموضوع بطريقة معاكسة للواقع؟
ـ ابداً، لا اريد ان اهشم امانيها دفعة واحدة. واريد ان افسح لك المجال لتتعرفي الى ما ينتظرك في المستقبل قبل ان ابدأ التصوير... في المستقبل.
ران صمت مريع. كان كل منهما ينظر الى الآخر وهو يحاول فهم ما يدور في فكره. واخيراً تكلمت فرنسيس بعناد واضح وتحد.
ـ انت خسيس (ضحكت ضحكة قصيرة). لا بأس. اقبل مرافقتك فقط لأنني اريد رؤية الاستوديو فمستقبل عملي يتوقف على ذلك... واستطيع ان اؤكد لك ان باستطاعتي ايضاً ان اكون خسيسة مثلك واكثر.
ـ لا اصدقك... والا لما كنت عرضت فرصة اداء التجربة للضياع من اجل مساعدة امرأة مسنة في محنتها. (اغلق مفكرته واعادها الى جيب سترته) اذن نلتقي صباح الثلاثاء. سأمر عليك لاصطحابك حوالى العاشرة اذا سمحت!
نظرت فرنسيس اليه ضاحكة وقالت:
ـ وكيف لا اسمح؟ انت انسان قليل الخيال... هل كنت تنتظر ان ارفض من يوصلني بسيارة فاخرة مريحة واختار الذهاب في الباص او القطار وزحمة المواصلات؟ يسرني جداً ان اقبل عرضك اللطيف والساعة العاشرة تناسبني. (اضافت بعد ذلك بلهجة ساخرة) انت تقول انك لا تفتش في الوقت الحاضر عن زوجة... ولكن ما ادراك انني لا افتش عن زوج؟ ثم اذا تضافرت جهودي مع جهود والدتك فربما نبرهن لك اننا اقوى منك... ونغلبك.
بدأت تحاول فتح الباب لتخرج... عبثاً. ضحكت وقد بدت

عصبية:
ـ هذا ليس عدلا!
بدأت دموعها تنحدر على خديها رغماً عنها. وقالت يائسة:
ـ كنت اريد ان اتركك بعد جملتي الاخيرة ولكنك افسدت كل شيء... (ساعدها في الضغط على زر الباب ليفتح. رفعت رأسها متحدية) كنت امزح... لا تأخذ قولي مأخذ الجد. انا ايضاً لا احب الرجل الأسمر كما انك لا تحب الفتاة ذات الشعر الأحمر. كلانا بأمان...
ـ جملتك هذه ربما هي للتحدي...
ـ لا. انني لا اتحداك. اؤكد لك ذلك.
ـ هل صحيح انك تفتشين عن زوج المستقبل يا آنسة هارون؟
ـ مثل كل فتاة في هذا العالم. افتش عن زوج معين. افتش بتدقيق وتمحيص... اؤمن ان الزواج رابطة لا تنفصم عراها مع الأيام.
عبس فيلكس واغلق عينيه كأنه لا يحتمل ما يسمع وقال:
ـ بحق السماء!
ـ كأنك لا تصدقني؟
ـ يمكنك ان تقنعيني بذلك يا آنسة هارون.
خرج من مجلسه وفتح لها باب السيارة وانتظرها لتصل الى مدخل البناية ثم اضاف:
ـ اعتقد انك الآن بخير.
ـ نعم. شكراً. عمت مساء يا سيد رافنسكار. اشكرك لتوصيلي.
ـ يسرني ذلك. عمت مساء يا آنسة هارون.
بقي ينتظر دخولها ثم ذهب. صعدت الى منزلها وهي تفكر بأمور عديدة تدور في خلدها كأنها الغاز. دخلت وبدأت تجهز نفسها للنوم بهدوء حتى لا تزعج صديقتها زوي. افكارها جميعها تتركز حول فيلكس رافنسكار.

لا يهم ان كان شعورها نحوه شعور محبة او كراهية فهو قوة هائلة لا يستهان بها. انه لغز لا يفهم بسهولة... وبالتالي سيكون العمل معه صعباً مرهقاً. اقفلت ضوء الحمام ومشت الى غرفتها مثقلة بالهموم. توقفت قرب النافذة وهي تفكر: من حسن حظها انه لن يمثل دور البطولة امامها... والا... لاحظت صديقتها تقف قربها وتنظر من النافذة.

- زوي لقد اخفتني... لماذا تقفين هكذا والنور مطفأ؟
- آسفة يا صديقتي ولكنني تسمرت في مكاني وانا اراك تعودين بسيارة فاخرة كما تعود النجمات الشهيرات ... ما بك؟ هل انت متوترة الاعصاب؟
- لا. ايقظتك من نومك؟
- لا. انا عدت منذ قليل ورغبت في انتظار عودتك لاسمع انباء السهرة الغامضة منك... لقد اصبحت من سيدات المجتمع الراقيات... هيا اخبريني عن السهرة... اياك ان تنامي قبل ان تفعلي. جلست زوي على طرف سرير فرنسيس.
- لن انام. اقفلت عيني لاريحهما قليلاً... هل يمكنك ان تحزري من كان معنا على العشاء؟
- من؟ حتماً تمتعت بوقت طيب لأنك عدت في الثالثة صباحاً.
- يا الهي. كيف مر الوقت بسرعة... زوي، صدفة غريبة جداً. لقد حضر فيلكس رافنسكار...
- حسناً. ولكن من هو فيلكس؟

تنهدت فرنسيس واكملت توضح لها بسرعة فائقة:

- انه رجل المصعد.
- يا الهي! الشاب الأسمر الساحر... الممثل.
- انه هو.. فيلكس هو ابن الليدي رافنسكار. انه ليس ممثلاً بل مخرجاً تلفزيونياً. سيخرج مسلسل بنروت.
- اوه. اوه. هيا اخبريني كل شيء.

اخبرتها فرنسيس اكثر تفاصيل السهرة وباختصار... ثم انهت حديثها بدعوته لها لزيارة الاستوديو يوم الثلاثاء المقبل. اهملت الحديث عن اللقاء الأول بينهما وعن غضبه لوجودها في السهرة، وكذلك اهملت اطلاعها على امنية الليدي في تزويج فيلكس.

- كانت امسية لا تنسى. فيلكس هذا لقطة وعلي ان اعرف المزيد عنه.
- هل بامكانك التحري عن فيلكس من مصادرك الموثوقة؟
- طبعاً. بخصوص غاريت وليام الذي يقطن في شارع هارلي. ربما استطيع ان اتدبر امري معه... هل هو شاب وسيم؟
- جداً. لقد وعدني ان يتصل بي هاتفياً ليصحبني الى حضور مسرحية في وقت قريب.
- حسناً.

تركت زوي غرفة فرنسيس واوت الى سريرها. وتأخرتا في النهوض من فراشيهما في صباح الأحد كالمعتاد. وحين قامتا باسترخاء وجلستا في غرفة زوي لأنها شرقية والشمس تدخلها في الصباح، كانتا تطالعان صحيفة الأحد وهما تتناولان فطور الصباح بتمهل. رن جرس الهاتف في قاعة الجلوس.

قالت فرنسيس:

- زوي، المكالمة لا بد لك.
- وكيف تعرفين؟ اذهبي انت.
- انت اقرب. هيا.
- واذا كانت المكالمة لك... لا تنتظري مني المعونة.

خرجت زوي لترد على الهاتف ثم صرخت تنادي فرنسيس قائلة:

- المكالمة لك يا فرنسيس.
- صحيح. (اخذت نفساً عميقاً قبل ان تجيب) من يتكلم؟
- فيلكس رافنسكار... اتمنى ان لا اكون قد ازعجتك!
- لا ابداً. كنت اطالع صحيفة الصباح.

- اردت فقط ان اطمئنك اني وجدت ساعة يدك الذهبية في سيارتي. ربما كسر قفلها... الم تستفقدي ضياعها بعد؟

صوته دافىء وحنون.

- لا. لم اشعر بعد بضياعها. يسرني انك وجدتها. اشكرك لاعلامي، لانني كنت سأنزعج كثيراً لو اضعتها.

- سأصلح القفل واجلبها معي يوم الثلاثاء.

- لا تتعب نفسك بذلك. سأصلحها...

- ليس هناك اي تعب.

- شكراً انك لطيف.

- احياناً. (كان يمزح) الى اللقاء يوم الثلاثاء. وداعاً يا فرنسيس.

- وداعاً.

قالت زوي ضاحكة:

- اذن المكالمة كانت لك وليست لي.

- نعم. انه فيلكس. (قالت بطريقة عادية كأنها كانت معتادة على مخابراته يومياً) لقد وجد لي ساعتي الذهبية في سيارته اللانسيا...

- من حسن حظك انها وقعت في سيارته والا فقدتها الى الأبد.

- اوه ما الأمر؟

مالت فرنسيس لترى صورة مارك لوكاس في الجريدة.

- انها صورة مارك لوكاس في دور هنري الخامس في ادنبره.

- يسعدني ان الأمور تسير معه من نجاح الى آخر.

قالت زوي ساخرة:

- انه سعيد الحظ تسير الأمور معه دائماً حسب ما يشتهي وعلى اهون السبل...

- انت قاسية جداً في تقييمك لمارك لوكاس يا زوي. انك غير محقة. انا لا اريد ان اتحدث عنه. (نظرت الى صورته ولم تشعر باي احساس او انفعال) هو شريك لي في الجريمة... كان غير سعيد مع زوجته ولكنه لم يلق باللوم عليها. انه ممثل ويسهل عليه تمثيل دور

العاشق. كنا نعيش سوية فترات تدريب طويلة ونخاف على التمثيلية من الفشل ونتمنى لها النجاح. اصبحنا قريبين جداً. كنا نعيش في عالم وهمي وكأننا منفصلان عن العالم الخارجي برمته. وبعد فترة لاحظت حقيقة شعوره نحوي وارتبكت ولكنني كنت سعيدة. اصبحت شديدة القلق واكتنفتني الهموم... لم استطع ان اقاسمه العاطفة واهدم بيته الزوجي مع انه اكد لي تكراراً ان زواجه تحطم من قبل ان يلتقي بي.

- ولهذا هربت من شيشستر وانت في اوج النجاح وانضممت للعمل في مسرحيات دون المستوى.

- نعم.

- اما هو فتابع نجاحه صعوداً... وعرفنا بعد ذلك ان زوجته انضمت اليه.

- صحيح. وكنت سعيدة لها.

امطرت الدنيا بغزارة صباح يوم الثلاثاء. كانت فرنسيس تقف في مدخل البناية تنتظر وصول سيارة اللانسيا. وحين شاهدتها اسرعت باتجاهها وسط الأمطار الغزيرة. دخلت السيارة بسرعة واغلقت الباب وقد بعثرت الرياح شعرها على وجهها. جلست قبالته وابتسمت له وهي ترد شعرها عن وجهها.

- اهلاً.

جلس فيلكس نظيفاً انيقاً وقد رتب شعره الأسود، تفوح منه رائحة خشب الصندل من العطر الذي يستعمله بعد الحلاقة. تذكرت لحظة ارتمت عليه في المصعد، انها كانت تشم نفس الرائحة.

نظر اليها بعينيه الساحرتين وابتسم قائلاً:

- لا اريدك ان تمرضي بنزلة صدرية قبل ان تنتهي من المسلسل.

ناولها منديله النظيف لتمسح به الماء عن شعرها ووجهها.

- سأحاول ان اسمع اوامرك... رأيت السيارة وركضت باتجاهها قبل ان تنزل انت ايضاً وتبتل. هذا المنديل لا يفيدك بعد الآن

للاستعمال. سأغسله لك يا سيد رافنسكار. . .

ـ لقد انتهينا من الشكليات على الهاتف على ما اعتقد. يمكنك مناداتي باسمي. (ارتجفت قليلاً من البرد وجلست هادئة وساكنة) نعم يا فرنسيس. في هذه المهنة الجميع يتركون الألقاب جانباً وعليك ان تتدبري امرك. . . هذه ساعتك، هل اساعدك في اقفال المشبك؟

هزت راسها موافقة ومدت له يدها ليحكم اغلاق قفل الساعة لها.

ـ شكراً لاصلاحها. كم كلفك؟

ـ لا لزوم. احد التقنيين اصلحها. استغرق اصلاحها عشر دقائق. لا تشعري انك مدينة بشيء.

ابتسمت له ابتسامة شاكرة وشعرت ببعض الدفء يسري في كيانها. جلسا يتبادلان الابتسامات الدافئة وشعرت ان السخط قد زايلها. اتضح لها جلياً ان خططها للتحفظ معه والبرودة في معاملته كلها قد تبخرت. كانت تلتقط ابتساماته الودودة وترد له التحية باحسن منها.

احست بانذارات ترن في عقلها الباطني تحذرها. . . ولكنها اقنعت نفسها بأن علاقة العمل التي تربطها هي الحافز الأول والأخير لكل تصرفاتها. صحيح ان رفيقها خبير في معاملة المرأة ويستطيع ان يزيل جميع الحواجز التي تقف في وجهه. . . ولكن اين ارادتها؟ هل تبخرت فعلاً؟

ـ هل قرأت طالعك اليوم وما تقوله لك النجوم؟

ضحكت كثيراً واجابت:

ـ لا احتاج لذلك. . . انا اطالعها فقط حين اعلق في المصعد. (غمرتها السعادة وهي تسمعه يتذكر لقاءهما الأول) هل كنت محقة بانك من مواليد برج العقرب؟

ـ اذا كان برج العقرب يتضمن مواليد تشرين الثاني/ نوفمبر. (نظر الى الغيوم المتلبدة في السماء واكمل) سأشعل التدفئة في السيارة

وستشعرين ببعض الدفء.

هزت فرنسيس رأسها موافقة. مشت السيارة تتهادى وسط الامطار. قالت في نفسها: لا شيء يفوته. عيناه فاحصتان وخبيرتان وقد لاحظ ارتجافها. عدّلت جلستها كي تراه دون ان تضطر لأن تدير رأسها وبدأت تتفحصه. انه من برج العقرب. . . ولدغته سامة وربما مميتة.

٤ - لا خداع في الحب...

قال فيلكس يحدثها:

- والدتي ترسل لك احر تمنياتها وحبها.
- وهل اخبرتها انك ستصحبني اليوم؟
- طبعاً. لقد ارتاحت كثيراً لأن خطتها تنفذ بدقة، وهذا ما سيسعدها ويدخل البهجة الى قلبها. (كاد ان يدهس صبياً يافعاً يسير امامه على دراجته) هذا الصغير المجنون!

نظرت فرنسيس الى وجهه الخالي من الانفعالات او الغضب. منذ قليل كاد يدهس ولداً ويتسبب في حادثة كريهة ومع ذلك كان يتحكم باعصابه برباطة جاش ويقود سيارته بمهارة واضحة.

- كيف دخلت مهنة التمثيل؟
- اعتقد انني انسقت الى المهنة دون تخطيط. كانت لدي صديقة اصطحبتني معها الى فريق تمثيل... ومن المصادفات الغريبة انها نسيت لهفتها للتمثيل وبقيت انا متعلقة به. تركت المدرسة وانا في الثامنة عشرة من عمري ودخلت معهد التمثيل.
- هل وافق اهلك... الم يمانعوا؟
- والداي متوفيان منذ كنت في الخامسة عشرة من عمري... ولكنني لا اعتقد انهما كانا سيمانعان.

بقي صامتاً يفكر في قولها ثم سألها:

- هل لديك اشقاء او شقيقات؟

هزت فرنسيس رأسها نفياً

- لا. لقد انتقلت من مدرسة خارجية الى القسم الداخلي ومن ثم الى معهد التمثيل. ولحسن حظي ترك لي والداي ما يكفي من المال لأنهي تعليمي وتدريبي المهني. اعتدت على تصريف اموري بنفسي واتكلت على نفسي في كل كبيرة وصغيرة من حياتي. كنت انتقل من غرفة صغيرة الى اخرى ومن مدينة الى اخرى فترة التمرين وفي بدء حياتي العملية. كنت احصل على الادوار الثانوية وكسبت خبرات عديدة. عندما يكون الانسان فتياً يشعر انه يعيش سلسلة من المغامرات...

قال وهو يفكر بأناة:

- تتكلمين كأنك عجوز شمطاء خبيرة وانت لا تزالين في الخامسة والعشرين من عمرك. مع انني اكبرك بعشر سنوات، اشعر انني في مثل سنك... وكيف كان شعورك عندئذ يختلف عن شعورك الآن؟
- خمس سنوات فقط.
- لماذا تسخرين؟
- لا. انني لا اسخر، ولكن الحياة تستمر بالرغم من الألم.
- ربما تتألمين بسبب الناس حولك؟

عبست فرنسيس وهي تتذكر لقاءها به وقالت:

- اتمنى ان لا يجرحوني عن عمد... ثم ان مهنة التمثيل تزخر بصعوبات عديدة وعليك ان تتحلى ببعض الروية. شخصياً انا محظوظة. لقد قفزت من فترة التجربة والادوار الثانوية الى دور البطولة بسرعة. كنت في برستول وتقمصت دور البطلة في حفلة التدريب الاخيرة. كان هذا اول يوم حقيقي بالنسبة الى حياتي المهنية. استطعت ان اجذب الي الانظار وبالتالي تحسن دخلي وسكني والادوار التي اوكلت الي... وها انا الآن اجلس بجانب مخرج تلفزيوني شهير: فيلكس رافنسكار...
- لم تسمعي باسمي من قبل.

- وهل يضايقك ذلك؟

ابتسم لها ولكنه حاول ان لا يجيب عن سؤالها بل قال:

- لقد قرأت نقداً عنك في المجلات الفنية. قرأت عن دورك في شيشستر.

- ربما. لقد استطعنا ان نلفت نظر الصحافة العالمية الينا. كانت المسرحية ناجحة.

- ولماذا لم يستبقوك؟

لم تجبه. ارادت ان تتجاهل التفسير. منعها كبرياؤها من الافصاح عن الحقيقة. لا تريد ان تخبره الاسباب الحقيقية لهروبها... وكذلك لم يعجبها ان يعتقد انهم طلبوا منها ان تترك وهي في اوج نجاحها... ولحسن حظها وصلا الى الاستوديو وانتهى الموضوع مبدئياً.

اوقف سيارته في المرآب ثم شرح لها برنامج العمل لهذا الصباح.

- سأصحبك الى الاستوديو وسأتركك وحدك فترة وجيزة. لقد طلبت من المخرج المسؤول ان يسمح لك بمراقبة التصوير ولقد وافق... هل نستعمل المصعد ام تفضلين ان نصعد السلالم؟

ضحكت كثيراً وقالت:

- بل نجازف ونصعد بالمصعد.

- انت فتاة طيبة القلب.

نزلا في الطابق الثالث وادخلها امامه. وجدت فرنسيس نفسها في قاعة كبيرة في داخل الاستوديو. الباب امامها مصنوع من الزجاج يستطيع الانسان ان يرى من خلفه كل ما يجري داخل الاستوديو حيث يعمل الممثلون وفريق التصوير والتقنيين. معظم العاملين يضعون سماعات كبيرة على آذانهم. هناك طاولة كبيرة يجلس اليها عدد من الاشخاص وامامهم مكبرات للصوت يتم الاتصال بواسطتها مع خارج الاستوديو. كل شيء امامها يبدو معقداً للغاية. ربما بدا على وجهها الارتباك مما حدا بالرجل الجالس امام مكبر

الصوت ان يبتسم لها ابتسامة مشجعة وهو يحيي فيلكس والمخرج له بيده. قاد فيلكس فرنسيس الى كرسي بالقرب من الحائط الزجاجي واجلسها عليه برفق وقال:

- لن انساك هنا!

وضع يده على كتفها وربت يطمئنها ثم تركها وانصرف. بدأت فرنسيس تستجمع قواها تدريجياً ومع الوقت نسيت خوفها وقلقها وارتباكها.

امام مخرج البرنامج عدد من شاشات التلفزيون الصغيرة كان يتابع كل ما يدور حوله بواسطتها. كانت فسحة الاستوديو مقسمة الى ثلاثة اقسام يمثل كل قسم منها مشهداً مختلفاً. احد الاقسام يمثل مقصفاً لتناول المشروبات والقسم الآخر يمثل مطبخاً عصرياً في منزل حديث والقسم الثالث يمثل قاعة للمحاكمة.

اعجبت فرنسيس كلياً بما يدور حولها ونسيت نفسها وهي تتابع باهتمام كل ما يدور. وحين عاد فيلكس من جولته وجلس قربها على كرسي نظرت الى ساعة يدها وابتسمت انه غاب عنها ما يزيد عن الساعة من الزمن.

تابع مشاهدة ما يجري دون ان يتكلم. وبعد فترة لامس ذراعها ليعلن لها ان الوقت حان للانصراف. نظر اليها وقال:

- يكاد وجهك ان ينفجر من كثرة الاسئلة؟

ضحكت ورفعت وجهها الممتقع وقالت:

- اوه. صحيح. لقد سررت كثيراً بكل ما شاهدت. اشكرك يا فيلكس.

- انا سعيد لأن الصباح كان ناجحاً بالنسبة اليك. (امسك بذراعها وقادها في الممرات) يمكنك ان تسألي ما تشائين ونحن نتناول فنجاناً من القهوة. (دخل معها الى مكتبه الفخم. ضغط على زر معين وحضرت على الفور فتاة تحمل لهما فنجانين من القهوة) اسألي الآن.

- ما عمل الرجل الذي كان يجلس خلف مكبر الصوت على الطاولة؟

- انه مدير المسرح. انه مركز الاتصال الرئيسي بين غرفة التسجيل وغرفة الاستوديو حيث يتم التصوير. انه رجل مسؤول لأنه يوزع جميع التعليمات التي يصدرها المخرج. انه يتصل بفريق العمل التقني وفريق الانارة والتصوير والممثلين...

- من يجلس معه الى الطاولة؟

- المرأة التي تجلس عن شماله هي مساعدة المخرج. هي تنسق المخرج باعماله. تنادي المصورين ليستعدوا وتتابع قراءة النصوص مع الممثلين وترتب مواعيد التصوير والعمل وتتولى حجز الفنادق وترتيب ما يلزم للسفر وتسجل القرارات المتخذة وتضبطها.

- عملها يشبه عمل مدير المسرح.

هز فيلكس رأسه موافقاً.

- وعن يمين المخرج يجلس المسؤول عن التصوير والمسؤول عن الاضاءة والألوان. (ابتسم فيلكس وهو يراقب تعابير وجهها وقلقها وقال) يبدو لك الآن كل شيء معقداً ولكن الحقيقة غير ذلك...

- بدأت افهم الآن لماذا يتوجب على المخرج التلفزيوني ان يلم بجميع الأمور التقنية... ولكنني اعتقد ان معظم عملك يتم خلال فترة التدريب... مثل المخرج المسرحي.

- تقريباً. ولكنني اهتم اكثر منه بزوايا التصوير. (امسك بفنجان القهوة الفارغ ووضعه مع فنجانه على طاولة قريبة). الممثل المسرحي يعبر عن عواطفه واحاسيسه بجسمه وصوته، اما الممثل التلفزيوني فيمكنه ان يعبر عن عواطفه برفة عين او بابتسامة دافئة او نظرة معبرة... وهذه كانت تخفى كلياً عن جمهور المشاهدين في المسرح. وكذلك الديكور. في المسرح، نحتاج لديكورات كبيرة الحجم وواضحة وضخمة، بينما في التلفزيون نستطيع ان نكتفي بديكورات اصغر حجماً واقل فخامة.

رن جرس الهاتف. اعتذر فيلكس منها بصوت منخفض وتناول سماعة الهاتف. وبينما كان يتكلم كانت هي تفكر في نفسها: متى سيعلن لها ان زيارتها قد انتهت؟ وحين انتهى من كلامه رفع حاجبيه يسألها:

- هل من اسئلة اخرى؟

رفعت له يدها اشارة على النفي وقالت:

- لقد ارهقتك باسئلتي العديدة ولكنني اريد معرفة موعد البدء في مشروع جديد... مثلاً متى نبدأ تصوير مسلسل بتروت؟

- نبدأ في تحديد الميزانية. ندعو الى اجتماع عمل تحضيري يضم جميع التقنيين ومدراء التصوير والاضاءة...

- هل تحتاجهم في هذا الوقت المبكر من التحضير؟

- نعم. لهم رأيهم في امكانية تنفيذ ما نفكر به. تحريك الكاميرات والصوت والضوء... كل شيء يعمل له حسابه. ثم نبدأ في التمارين. احياناً نغير بعض الحوارات والمشاهد. واخيراً يحضر فريق العمل باكمله لمشاهدة التمثيلية كوحدة كاملة قبل ان نبدأ في التصوير.

التمارين تتم مبدئياً في الاستوديو. نحتاج لأدوات التجميل والملابس، ان كانت حديثة ام تاريخية، ونكمل تدريبنا بالملابس المقررة قبل ان نسمح بالتصوير.

- بدأت ارتعد خوفاً منذ الآن.

- حين انتهي من تدريبك ستنسين وجود كاميرات التصوير كلياً. (نهض واقفاً ورفع حاجبيه متسائلاً) ربما انت تنزعجين من حرارة الاستوديو المرتفعة ولكن الطقس في كورنوال سيكون بارداً على ما اعتقد وارجو ان تكوني في صحة جيدة. (ابتسمت وهي تصغي اليه) لماذا تبتسمين؟

قالت باتزان واضح:

- انت تقول ان الأمر سهل.

- انا احيط نفسي بفريق عمل اثق به.
- هل تقول ان باستطاعتك ان تجعلني اطير الى القمر؟
- لا. لن اطلب منك ان تطيري الى القمر. انا لا اطلب المستحيل.

عادت فرنسيس الى البيت ومرت في طريقها بالحديقة العامة. كان المطر قد توقف كلياً واشرقت الشمس بعض الوقت مما ساعد على جفاف الارصفة ومقاعد الحديقة العامة، ولكن العشب لا يزال رطباً.

جلست فرنسيس تفكر بفيلكس وكلماته وتطميناته... انه يثق بكل من حوله. تمنت ان تكون اهلا لثقته... أليس مجنوناً اذ يؤكد لها مقدرتها على النجاح؟ لقد قال انه لا يضيع وقته مع من لا يحترمهم او يثق بهم. انه صلب عنيد ولا يتأثر بالتقاليد... اي نوع من المخرجين هو هذا الرجل؟ كانت تنتظر بفارغ الصبر حلول الغد وبدء التمارين. كانت متفائلة...

وفي صباح اليوم التالي وجدت فرنسيس نفسها في طريقها الى الاستوديو قبل الموعد بوقت طويل. نزلت من محطة القطار ومشت في شارع البرت كانت تفكر بالوقت الذي سيستغرقه التمرين في الاستوديو قبل الانتقال الى كورنوال حيث سيتم التصوير الخارجي.

تنبهت الى سيارة فخمة تمر بها وتتوقف فجأة.

- فرنسيس يا فتاة. انت براقة جميلة كعادتك. لقد عرفتك من طريقتك في المشي. دعيني انظر اليك.

كان سلامه الحار وحماسه جديرين بابتسامتها وهي ترى صديقاً قديماً. انه جوليان رانور زميلها في التمثيل. انه يرتدي افخر الثياب ويقود سيارة سبور. يربط حول عنقه منديلاً مقلماً ويرتدي معطفاً جلدياً من صوف الخروف وقفازات جلدية.

- اهلا يا جوليان. ما هذه السيارة الرهيبة الفخمة؟

خلع جوليان نظاراته بابتسامة ماكرة وفتح الباب بكل ترفع لها

لتدخل. مشت فرنسيس حول السيارة الفخمة وهي تتأملها بحماس وشغف...

- هذه سيارة ليا صنعت خصيصاً من اجلي وبناء لطلبي. انها سريعة جداً تقطع مئة ميل بالساعة.
- ارجوك لا تسرع وانا معك.
- لها اربع سيلندرات وبعض الانارة الخاصة ومقاعد وثيرة...
- نعم يا جوليان. انها رهيبة وفاخرة.

ضحكت وهي تفكر بجوليان الشاب العادي الذي يمكنه ان يتحدث بذكاء في امور اخرى غير امور سيارته الفخمة.

كان جميع المارة ينظرون الى السيارة باعجاب.

- من السهل التعرف اليك بهذه السيارة. انك كالدبور...
- لقد عطلنا السير وانا اعرف وجهتك.
- جوليان... هل تعني انك انت ايضاً تعمل في مسلسل بنروت؟
- نعم. حان الوقت لنعمل سوية، أليس كذلك؟

دخلت السيارة بسرعة وعانقته قائلة:

- اوه يا جوليان. كم انا سعيدة. الآن اعرف احداً من الممثلين العاملين معي. ما هو دورك؟
- دور نيكولا بنروت البطل يا عزيزتي... انني مستعد لقبول هذا الدور تحت الحاح الجماهير.
- اين حزام الأمان؟ انني لا اجده.
- من الصعب الوصول اليه (حاول مساعدتها) وانت هالكة لا محالة في حال وقوع حادث.
- انت تقول اشياء مشجعة يا جوليان ولكنني ارغب في الوصول الى التمارين وانا سالمة. ارجوك ان لا تسرع. مفهوم؟
- كان الاستوديو يبعد مسافة قريبة ولكن جوليان اطلق لسيارته العنان وامسكت فرنسيس بالمقعد خوفاً من الارتطام. واخيراً دخل المرآب وتنفست فرنسيس الصعداء وهو يقول لها متهكماً:

- لا تخافي. كابحها من افضل الانواع وهو يعمل كأفضل ما يكون.
- يسرني سماع ذلك.
خرجت فرنسيس وهي ترى ابتسامته الساخرة. حين ترجلا، رأى جوليان سيارة اللانسيا السوداء في المرآب. رفع حاجبيه وسألها:
- سيارة جميلة للغاية. (خلع قبعته ومر بيده في شعره الأشقر ثم دار حولها متفحصاً) لمن هذه السيارة؟
- انها لفيلكس رافنسكار.
نظر اليها مستغرباً وسألها:
- صحيح؟ ومنذ متى يا عزيزتي تتنزهين بخيلاء في سيارة مخرج شهير؟
- ما الذي جعلك تقول ذلك؟
- لأنك شابة جميلة فاتنة يا فرنسيس وفيلكس يحب الجمال ويقدره حق قدره.
- شكراً جزيلاً. (ضحكت فرنسيس) انه مجنون (وضع جوليان يده حول كتفها ومشيا نحو القاعة) هل تعرفه؟
- من؟ فيلكس؟ انه صديق للعائلة... وانت هل تعرفينه معرفة جيدة؟
احمرت فرنسيس لسبب تجهله.
- لا تنظر الي هكذا كأنك مسؤول عني يا جوليان. انا لا اعرفه جيداً. علاقتي به علاقة عمل ليس الا.
- اتمنى ان تبقى هكذا. فيلكس خبير بالنساء وسيحول فتاة بريئة مثلك الى...
- لقد اصبحت شابة ناضجة الآن. عرفتني في برستول منذ سنتين... استطيع حماية نفسي.
- يسرني ان اعرف ذلك.
مر الاسبوع الأول في التمارين. تأكدت فرنسيس ان كل كلمة

مدائح سمعتها عن فيلكس كانت حقيقية. انه شاب ذكي مدرك لمسؤولياته، ويعرف ماذا يريد. كان يتمتع بمقدرة فائقة على التعامل مع الممثلين وابراز مواهبهم.
عدد الممثلين كبير وكان من الصعب على فرنسيس ان تتعرف اليهم جميعاً ولكنها تعرفت على القليل منهم، ومعظمهم مجتهدون وتسر رفقتهم في اوقات الاستراحة في الاستوديو.
- جلست ذات امسية في غرفة صديقتها زوي في المسرح تراقبها وهي تمسح عن وجهها مساحيق التجميل. كانت تسرد عليها بعض الأمور المتعلقة بحياتها الجديدة والمسلسل.
- من هي غيبا غانت؟
- انها شابة سمراء عملت في مسلسل اسكتلندي منذ سنة. فتاة فاتنة وذكية عملت مع فيلكس من قبل وهي تعرفه معرفة جيدة.
- اوه؟
- لماذا تقصدين... اوه؟
- اقصد اني بدأت اسمع بعض الأمور عن السيد رافنسكار. ان عينيه الساحرتين معروفتان في دنيا الاناث في الاستوديو. شهرته لا تتناول اجادة اخراج المسلسلات فقط...
- افصحي... ماذا سمعت؟
- لا شيء مخيف. انه ليس الشاب المخادع، ولكنه حطم قلوب بعض العذارى اللواتي حاولن تغيير رأيه بشأن العزوبية. انه صادق في معاملاته...
- كيف عرفت ذلك؟
- من احدى المعجبات السابقات. هي مستعدة ان ترتمي تحت قدميه لو اشار لها اشارة باصبعه. قالت انه ماهر في عمله وطموح ويعرف الى اين سيصل.
- هذا صحيح. انه يرهقنا. انه يعمل بدأب كي ننتقل وبسرعة الى الجنوب. وخلال دقائق الاستراحة يتكلم مع المختص بالملابس

او المساحيق او فريق التصوير او كاتب النص. . . انه يعمل كالمولد. كل شيء يدور حول نجاح عمله ولا افهم كيف تنتظر صديقته ان يعود اليها اذا كان لا يجد وقتاً لأي شيء آخر غير عمله.

- كيف سارت الأمور اليوم. . . كيف كان التصوير؟

- كما قال فيلكس سابقاً. لقد دربنا تدريباً صحيحاً حتى انني بعد دقائق من القلق نسيت آلة التصوير وكل فريق العمل. طبعاً ساعدني جوليان كثيراً. وانا شاكرة له.

- ارجو ان لا تقعي في غرام جوليان رانور. ضحاياه كثيرة. . .

- اعتقدت انك تحبين جوليان!

- انه ينفع كرفيق لحفلة ساهرة مبهجة.

- انت على خطأ يا زوي. انه سهل المعشر ولا يشعر بمسؤولية ولكنه مقبول. سيصحبني الى كورنوال.

- لا تتخلي عن عقلك ابداً ارجوك. هل ستذهبين في الغد لحضور المسرحية الجديدة؟

- نعم. سيصحبني غاريت ويليام في السابعة.

- ولكنك قلت منذ اسابيع انك لن تتورطي بعلاقة عاطفية مع رجل ما.

- ولكنني لم اقل انني سأعيش عيشة الراهبة. قلت سأبقي قلبي مغلقاً.

- ما الأمر؟

نظرت زوي الى وجه صديقتها وهي تتأمل المشاهدين يخرجون من المسرح.

- اذا كنت ترغبين في رؤية فيلكس رافنسكار. . . انه بصحبة الفتاة التي ترتدي ثوباً ابيض. يبدو انها تعمل موديلاً.

نظرت زوي اليها ثم هزت رأسها نفياً وقالت:

- انها ليست موديلا. انها ابنة مدير البنك. . . اذن. . . هذا هو فيلكس رافنسكار! (شاهدتهما زوي وهما يركبان سيارة اجرة) انه

وسيم وجذاب.

مشت زوي بعد ان انتهت من ترتيب نفسها مع صديقتها فرنسيس الى المطعم اليوناني حيث كانتا على موعد مع بعض افراد الشلة التي تعمل زوي برفقتهم في المسرحية. سألتها زوي ببرودة ومكر:

- الم يحاول فيلكس معك بعد؟

- ابداً. ولكن لا عليك يا صديقتي فأنا محصنة بما فيه الكفاية، لا سيما وانه يبدي لي كراهية واضحة اثناء تأديتي لعملي ولا اعرف سبباً لهذا الشعور البشع.

- احمد لله على ذلك لأنه حتماً يشكل خطراً بالنسبة الى فتاة في مثل براءتك.

ذهبت فرنسيس لمشاهدة المسرحية الجديدة برفقة غاريت وليام. ولقد برهن الطبيب انه ذكي ومبهج وتسر رفقته. برهن على معرفة اكيدة بالمسرح وابدى ملاحظات قيمة في نقد المسرحية. وافترقا على ان يستأنفا لقاءاتهما الودية بعد عودة فرنسيس من كورنوال.

بقي يوم واحد على سفر فرنسيس الى كورنوال. لقد تم الحجز وتحدد موعد السفر ومواعيد القطارات والعناوين والقرى التي سيحطون الرحال في رباها. . . قرية مرواتستو وبادمنمور. جميع الأماكن تعرفها فرنسيس حق المعرفة لأنها مرتع طفولتها المحببة. اتخذ الفريق وسط المدينة للسكن وحددت مواعيد التصوير الخارجي.

كانت فرنسيس تقفز الدرجات الأخيرة راكضة من داخل الاستوديو وقد انشغلت بعدة امور تريد الانتهاء منها قبل الغد لأنه موعد السفر. التقت فيلكس وهو يخرج من المصعد ومشيا سوية الى خارج الاستوديو.

- يا الهي. . . ماذا تفعلين هنا يا فرنسيس في هذا الوقت المتأخر؟

ودعا فتاة الاستقبال وشكرا البواب الذي فتح لهما الباب الخارجي.

- كنت اقوم بزيارة مصمم الازياء اجرب بعض الملابس. تأخرت قليلاً لانه وجد ان اثنين منها لا يفيان بالغرض. انتظرت اصلاحها واعدت تجربتها ولهذا السبب تأخرت بعض الوقت... وانت تبدو مرهقاً كذلك!

- هل ترافقيني وتساعديني بلمسة يدك الناعمة على ازالة التعب عن رأسي ام انك مشغولة بغيري؟

- انا لا انفعك على ما يبدو لأنني قد اقع مغشياً علي تحت قدميك من شدة جوعي. لم اتناول طعاماً منذ الصباح.

- اذن نتناول الطعام سوية. انا اكره ان اتناول طعامي منفرداً. هل تسمحين لي بدعوتك للطعام يا فرنسيس؟

- اوه. لما... ذا. شكراً...

وقبل ان تنهي جملتها وجدت نفسها تنقاد بسرعة الى داخل سيارة اجرة.

- اللانسيا تحتاج لبعض التصليحات. ارسلتها الى الكاراج وستجهز هذا المساء... هل ترغبين في تناول شيء معين؟

هزت فرنسيس رأسها نفيا وقالت:

- اتمنى ان لا نذهب الى مطعم مميز لأن ثيابي لا تليق.

نظر اليها متفحصاً. كانت ترتدي بلوزة من الحرير فوق بنطلون بني من الصوف وسترة من الجوخ البني.

- انت فاتنة بالنسبة الي ولباسك ممتاز. سنتناول طعامنا منفردين فلا تقلقي بشأن هندامك، الا اذا كنت تخافين الحضور معي الى شقتي؟

شعرت فرنسيس بالدماء الحارة تصبغ وجنتيها. نظر اليها فيلكس نظرة ساخرة ماكرة يستفسر رأيها وينتظر تعليقها.

- طبعاً لا... ولكن هل علي ان اطبخ الطعام مقابل دعوتك؟

ضحك مسروراً بمرافقتها. ضحكت هي ايضاً تشاركه سروره.

- ابداً يا عزيزتي. انا متفق مع مطعم فرنسي يقع في زاوية الشارع

الذي اقطنه... انه يبعث بالطعام الى المنزل بعد ان اتصل به هاتفياً.

- تدبير مريح ومتمدن... اي انني لن اغسل الاطباق بعد العشاء.

توقفت سيارة الاجرة امام بناء متواضع ولكنها وجدت ان المنزل من الداخل مريح للغاية وحديث. نظرت عبر النافذة لتشاهد عن بعد نهر التيمس وقد انعكست الاضواء على صفحته الهادئة. المنظر ممتع وسط الظلام الدامس في الخارج.

- اقترح ان تغتسلي بسرعة بينما اتصل بالمطعم هاتفياً. الحمام هناك. واذا رغبت في دوش سريع فلا تتأخري. افعلي ما يحلو لك. هناك العديد من المناشف. اسرعي فقط لأنني جائع جداً.

ركضت فرنسيس موافقة على اقتراحه وانتهت خلال ربع ساعة.

- تصرفي كأنك في بيتك.

دخل فيلكس الحمام بعد ان جهز طاولة الطعام واغلق الستائر.

وقفت فرنسيس امام المكتبة الكبيرة وقد رصت بالكتب المتنوعة... كافكا، همنغواي، جيمس، هاردي وكونراد وآخرون، ذوقه عام وشامل. توقعت كتباً اكثر حول المسرح والسينما والاخراج ولكنها وجدت العديد من الكتب تدور في حقل العلوم والجبر والهندسة والحساب.

دخل نشيطاً وقد ابتل شعره من الدوش وبدل ثيابه.

- ارى انك تمتعت بوقتك في القراءة.

اعادت فرنسيس كتاباً عن بيكاسو كانت تتصفحه. سمع جرس الباب الخارجي يقرع. هرع فيلكس وهو يقول:

- وصل الطعام.

عاد يحمل صينية محملة بالطعام ويضعها على الطاولة ويقول باحترام:

- هل تسمح سيدتي بمشاركتي طعامي؟

كان الطعام لذيذاً. أكلا صامتين من شدة الجوع. وبعد ان انتهيا وقف فيلكس ومشى نحو المسجلة ووضع اسطوانة لفرانك سناترا. عاد يجلس على السجادة ويضع رأسه على الاريكة حيث تجلس فرنسيس وقد اسندت رأسها الى وسادة ناعمة وبدت مرتاحة كلياً.

- انت ذكية وتبدين كأنك في بيتك. احتاج الآن ليديك الشافية الناعمة لتدلك لي جبهتي المتعبة.

كانت فرنسيس سعيدة هانئة مرتاحة البال ولم تشأ ان تلعب بالنار او ان يفلت زمام الأمر منها.

- جبهتك لا تحتاج للتدليك... يمكنك ان تختار اسطوانة لديانا روس او بربارة سترايسند لتغني لك ان كان فرانك سناترا لا يفي بالمطلوب

ابتسم فيلكس ولم يعقب. كان من الطبيعي ان تنظر فرنسيس اليه وهو يجلس تحت الاريكة وشعره الاسود يكاد يلامس ركبتيها. ارادت ان تمد اصابعها وتعبث بشعره او تضع اكفها على صدغيه... كان مغمض العينين وقد اسند رأسه يرتاح بينما وضع يده على معدته والاخرى تمسك بكأس شراب مهضم وقد طوى رجلاً وفرد رجلاً على السجادة.

العقرب يرتاح... انه هادىء يفكر في طريقة لاقتناص ضحيته. ودون ان يفتح عينيه او ينظر اليها سألها:

- بماذا تفكرين الآن يا فرنسيس؟

شعرت بخوف يعتريها. كأنه قرأ افكارها او احس باصابعها تداعب شعره ولو في مخيلتها.

- كنت اتساءل: من اين حصلت على هذه السمرة المحببة؟ انا واثقة بانها سمرة مستوردة وليست نتيجة شمس انكلترا...

- انت محقة في قولك. لقد اكتسبت هذه السمرة من شمس اليونان ومن جزيرة كورفو.

ضحكت فرنسيس كثيراً وقالت:

- سمعت عن هذه الجزيرة من النشرات السياحية. يبدو انها جنة على الأرض. (تنهدت عميقاً) انا لم اسافر خارج انكلترا بعد. اقصى مكان في جنوب انكلترا زرته هو لاندز اند وفي الشمال ميدلسبورو. لدي امنيات عديدة. احب زيارة بلاد اليونان وجزر اليونان الساحرة، واحب زيارة البندقية وكذلك احب زيارة اريزونا في اميركا لرؤية الغراند كانيون.

توقفت عن الكلام كأنها تحتار بين حلم وآخر وهي سارحة.

- لقد زرت اغلب الأماكن التي كنت ارغب في رؤيتها. والآن مللت من السفر بعد ان تنقلت كثيراً من اجل العمل او المتعة. لقد خبا حماسي للسفر كلياً... وربما انت رفيقة سفر ممتعة يا فرنسيس. حماسك للسفر ربما يعيد بهجته بالنسبة الى متخم مثلي. احب ان ترافقيني الى جزر اليونان او الى مدينة البندقية، مع انها مدينة كئيبة ميتة... هل ترافقيني يا فرنسيس وتجعليني اراها من خلال عينيك؟

كلامه وقع عليها وقع الصاعقة. لقد فوجئت بطلبه. بقيت صامتة سارحة لا تتحرك في جلستها لفترة طويلة.

- واذا كنت تفضلين اريزونا فلا مانع لدي... ولكنني ارحب بجزر اليونان اكثر لأنها جزر شاعرية رومانسية.

فتح عينيه واستدار في مجلسه ونظر اليها. كانت تسمع اغنية فرانك سناترا وهو يقول لحبيبته ان تطير معه في رحلة الى القمر...

- هل فقدت لسانك يا فرنسيس؟

- لا ولكنك تمزح ولا شك. انا لا احب ان امزح بهذه الأمور يا فيلكس ربما كلامك يساء فهمه؟

- انا لا امزح يا عزيزتي. انني اقصد كل كلمة قلتها.

- انا... انا لا اصدق.

- اتمنى لو تصدقيني. (استدار وامسك يدها بين يديه بحنان ورقة) سنذهب الى كورفو. انه مكان مثالي لنتعرف فيه على بعض.

الحياة هناك بسيطة وسهلة ممتعة. ستستلقي على الرمال الحارة تحت اشعة الشمس المحرقة وستسبح في زرقة مياه البحر الابيض المتوسط ونأكل ونشرب في ضوء القمر الخلاب.

- انت جاد فيما تقول!

سحبت يدها من بين يديه كأن العقرب قد لدغها.

- بكل تأكيد. (كان يراقبها بامعان) لقد قلت لك انني جاد.

شعرت برجفة خفيفة تتملكها. حاولت ان تستعيد توازنها قدر الامكان.

- من المعترف به ان الممثلات يتمتعن بحرية في اختيار من يحببن ولكن ما الذي يجعلك تعتقد انني سأرافقك يا فيلكس؟

- لا اعرف... ولهذا السبب اسألك.

- فهمت. (تنفست نفساً عميقاً كمن نفد صبره) ربما انا ثقيلة الفهم هذا المساء، ولكن هل تعتقد انني سأحبك؟ لا اعتقد انك ستكتفي مني بالجمل الوصفية لجمال الطبيعة هناك.

نهض واقفاً امامها وقد سرته سرعة بديهتها.

- انت تفهمين الوضع على حقيقته يا فرنسيس ولكنني لن استعجل الأمور. بل سأترك للشمس والقمر والبحر والرمال ان تفعل سحرها. سأنتظر حتى تقرري...

- انت تؤمن ان ذلك سيحصل لي...

- بل متأكد كل التأكيد.

احست بحرقة خانقة في حنجرتها. لقد تملكها الغضب واجتاحها كلياً.

- من المفترض ان يتملكني الغرور وابتهج لطلبك. وانت واثق من نفسك... انني احترمك يا فيلكس كمخرج تلفزيوني واقدر جهودك كثيراً، ولكن كرجل اجدك مغروراً وثقيل الظل وصعب المهضم... (انزلت رجليها من على الاريكة وهي تفتش عن حذائها) علي ان اعود الآن.

وقوفها جعلها قريبة جداً منه. كانت حافية القدمين ومتوترة الاعصاب. كانت لا تخاف منه بقدر ما تخاف من نفسها. حتماً لن يخون عهد الضيافة وهي في منزله، آمنة على نفسها منه ومن تصرفاته الشائنة.

- الرجل وحين ينجذب شخصان يتناسيان الغرور... ولا يمكنك مناقشة حقيقة التجاذب بيننا؟

حدقت به مستغربة صراحته وشعرت بحمرة الخجل تكسو وجهها رغماً عنها.

- لا. انا... لا افهم... ماذا تعني بقولك. انا لا...

- يمكنني ان ابرهن لك عن صدق قولي باسلوب بسيط للغاية.

رفع يده وامسك بذقنها بحنان. حبست فرنسيس انفاسها وهي تحس بلسعة حارة من لمسة يده. نظرت اليه نظرة حادة ولكنه ابقى على نظرته الساخرة. وجدت فرنسيس نفسها وقد شلت حركتها لا تقوى على الكلام او الحراك. ودون ان يلمسها بدأ يحدق في عينيها تحديقاً مفعماً بالانفعال. وحين حاولت الابتعاد عانقها فجأة. احست بسعادة عارمة تغمرها ولفترة قصيرة شعرت بأنها راضية متناغمة معه. لقد تجاوبت... كادت لا تصدق... ابتعد عنها قليلاً ولكنها بقيت تشعر بانفاسه الحارة على خديها.

- هل فتحت عينيك على حقيقة شعورك نحوي يا فرنسيس؟

ابعدها عنه وهي شبه تائهة. بقي ينظر اليها بتحفظ خوفاً من ردة فعلها. ولفترة بقيا جامدين وكل منهما ينظر الى الآخر... لم تظهر عليه نشوة الانتصار كما كان مفترضاً. كلا، انه خبير في هذه الأمور واخلاقه تمنعه من اظهار تفوقه. وجهه مشع وهو مسرور مبتهج لارتباكها. بقي متوازناً يسيطر على تصرفاته وكأن العالم كله يسير حسب رغباته وارادته. تمنت فرنسيس لو تضربه او ترمي كأس الشراب في وجهه... انحنت تفتش عن حذائها ووقفت بعد ذلك تسحبت نفساً عميقاً وقالت:

- اشكرك على الطعام يا فيلكس... (نظرت اليه نظرة سريعة لترى سروره وبهجته) انا آسفة ان ارفض دعوتك الى كورفو...

- هل استطيع ان اسألك عن السبب؟

- طبعاً. (رفعت رأسها عالياً ونظرت اليه نظرة مترفعة) انت محق في مسألة التجاذب بيننا ولقد برهنت على ذلك عملياً... وربما سنستمتع بصحبة بعضنا ويسحرنا القمر والموسيقى ونتقلب في حر الشمس والرمال الحارة... انا واثقة بانك خبير في هذه الامور يا فيلكس. ولكنني سأفسد كل شيء بالنسبة اليك... شعوري بالذنب لأنني اعيش معك دون رابطة مقدسة سيحرمني من المتعة وبالتالي سأنغص عليك عيشتك.

- اي شعور بالذنب؟

- انني فتاة تقليدية محافظة وأؤمن برابطة الزواج المقدسة... ولا احتمل طريقاً غيرها. وانت مبدئياً لا ترغب في تحمل اعباء مسؤولية احد. لا تستطيع ان تلتزم باية رابطة... اليس كذلك يا فيلكس؟

- ما الأمر؟

- انا اكره التظاهر ولا افعل اي شيء لا اؤمن به. ربما انا غبية لأنني سمحت لنفسي ان اقع في حبك ولكنني لن اتساهل ابداً ان لم احظ بحبك في المقابل. يجب ان تحبني فعلياً... لن اكتفي بالقول بل اصر على الحب الفعلي. وانت حالياً لست جاهزاً لهذا الأمر وانا افهمك جيداً.

ربما يكون قد فوجيء بكلامها ولكنه بقي محافظاً على رباطة جأشه وتوازنه... سمع رنين الهاتف. قام ليتكلم معتذراً ووقفت هي ترتدي سترتها وتحمل حقيبة يدها وتستعد للخروج.

اقفل سماعة الهاتف ونظر اليها لدقائق ثم قال:

- تكلم معي عامل المرآب. قال ان السيارة جاهزة. سيحضرها فوراً. سأوصلك الى منزلك. حين تتخلصين من هذا الشعور الغريب بالذنب اعلميني... سنطير بسرعة الى جزيرة كورفو.

امسك بوجهها بين يديه ونظر في عينيها بقسوة ثم دفعها بلطف الى الباب. كان فرانك سناترا يغني اغنيته الحزينة الدافئة ويقول: لا خداع في الحب...

٥ـ صخور على الشاطىء

كانت فرنسيس تصعد الصخور الحادة بصعوبة وتتوقف بين حين وآخر لتشاهد جمال الطبيعة الخلاب. الساعة التاسعة والنصف في الصباح، لا يزال الوقت مبكراً وستفعل اليوم ما يحلو لها. لقد حملت في حقيبتها بعض الفاكهة والساندويشات ومناشف وثياب البحر. تركت قرية بادستو خلفها ووجهتها الشاطىء المشرف على قرية نيوكواي.

ركبت شاحنة في السابعة صباحاً بعد ان طلبت من سائقها ان ينقلها بطريقه، وكان السائق مسروراً لرفقتها الودية وهي الشابة الفاتنة التي تشع صحة وحيوية ونشاطاً وجمالاً. لقد امضت ثمانية اسابيع في كورنوال مما زادها نشاطاً وحيوية، واكتسبت سمرة ذهبية محببة. كانت تستعمل الدراجة في تنقلاتها من مركز سكنها الى مركز عملها مما اكسبها ليونة ومرونة. لقد تركت اليوم الدراجة في المزرعة حيث تسكن لأنها رغبت في رياضة المشي على الشاطىء، بحرية تامّة.

بعد ان نزلت من الشاحنة في المفرق المؤدي الى قرية بادستو فردت خريطة المنطقة ودرست طريقها وما تبقى لها من الرحلة. وبعد ذلك ركبت جراراً يملكه احد المزارعين هناك أوصلها مسافة قريبة من الشاطىء. ركضت مسرعة وهي ترى البحر أمامها قاب قوسين أو ادنى... ووصلت اليه بعد ساعة من المشي الحثيث.

اخذت نفساً عميقاً وجالت ببصرها في الشاطىء الممتد امامها، وعادت بذاكرتها عبر الماضي البعيد... وتذكرت موت والديها وخسارتها لحنانهما الدافىء.

قررت فرنسيس ان ترتاح قليلاً. جلست على الارض واخرجت تفاحة وبدأت تقضمها وهي تحدق في البحر الواسع امامها... ماذا لو ركبت زورقاً ورحلت به بعيداً بعيداً؟ حتى تصل الى الطرف الآخر من اليابسة. ولكن الرحلات البحرية ستجرها الى التفكير بالرحلة الى كورفو... والى الرجل الذي دعاها لمشاركته هذه الرحلة. لا... يمكنها ان تفكر في عملها. ألقت ببقايا التفاحة واستلقت على ظهرها... عملها جيد والطقس جميل. حزيران شهر دافىء. لم يبق عليهم سوى ثلاث مشاهد وينتهي المسلسل وينتهي العمل. وبعد أسبوع ستعود الى لندن. جلست وتنهدت قائلة في نفسها: كل شيء جميل ينتهي بسرعة... وقفت من جديد تنفض عنها الرمال العالقة بها. كان عليها ان ترتدي بنطلوناً من الجينز بدل هذا البنطلون القصير... بدأت تفكر بالتصوير الذي سيتم في الغد. عليهم ان يصوروا مشهد المركب. هي تخاف هذا المشهد. ربما من الافضل لها لو تطلب من فيلكس ان يدع بديلتها تقوم عنها بتمثيله... لا. غير ممكن. ربما سيعتقد انها تخاف البحر والصخور... وخاصة بعدما حصل معها البارحة. تذكرت:

كان فيلكس غاضباً ساخطاً وهو يلاقيها في اعلى الصخرة. لقد خالفت اوامر المخرج وسلكت طريقاً وعرة محفوفة بالمخاطر وهي ترتقي الصخور، طلب منها فيلكس ان لا تسلك ذلك الطريق لوعورته وخطورته، ولكنها في النهاية خالفت اوامره وسلكت الطريق الوعرة ولم يعد احد يستطيع ان يوقفها والمشهد يصوّر... لقد اربكتها تنورتها الطويلة في التسلق وكادت ان تقع اكثر من مرة ولكنها وصلت القمة اخيراً. ونظرت اليه تنتظر اطراءه ومديحه ولكنها سمعت توبيخه وصراخه. لقد اسمعها قارص الكلام: عنيدة، مجنونة...

وكلمات غيرها اشد قسوة جعلتها تدرك بانه في قمة غضبه وحنقه. سرّت لأن فريق التصوير كان بعيداً نسبياً ولم يتسنّ له سماع الوصف الدقيق، ولكنهم شاهدوا بأم اعينهم الانفعالات جلية واضحة...

وفي المساء اخبرها ريك كبير المصورين بالتفصيل. لقد التقته في المقهى حين دخلت برفقة جوليان لتناول بعض الشراب المنعش. كان فيلكس يجلس في زاوية المقهى وقد تجاهل وجودها حين دخلت. ربما لا يزال حانقاً عليها...

لوح ريك بيده يحييها ومشت اليه مبتسمة. المصورون والتقنيون كانوا يحبون العمل معها لشعورها بالمسؤولية ولتواضعها ولبرودة اعصابها ولطفها. وعندما كان يطلب منها تكرار التصوير اكثر من مرة كانت تنفذ الأوامر دون تذمر او تأفف او توتر اعصاب او ما يشبه ذلك.

- هل تشاركينا الشراب يا فرنسيس؟

- شكراً. انني برفقة جوليان وسيحضر لي بعض العصير.

- ما هو شعورك وانت تتسلقين الصخور الوعرة؟ (ريك في الخمسين من عمره. شعره رمادي ووجهه بشوش. لقد احضر عائلته معه الى كورنوال وكانت فرنسيس تمضي سهرات لطيفة برفقتهم) كان من الممكن ان تؤذي نفسك. في لحظة ما ظننت انك قد علقت وكدت ان تفقدي توازنك وتسقطي.

- لم اشعر بخطر مميت. كنت مرتاحة وانا اتسلق الصخور. لقد امضيت طفولتي وانا اتسلقها. لا حاجة للرعب.

صفر ريك وهز رأسه متعجباً وقال:

- كان المخرج مرعوباً وهو يراقبك. صرخ عدة مرات ولحسن حظك لم تسمعي صراخه وشتائمه. بعض كلماته منتقاة ولم اسمعها من قبل.. اعتقد انك ستسقطين وستمزقين ارباً فوق الصخور. وعندما رآك تصلين القمة سالمة ركض خلفك مسرعاً... مما ساعده على كبت غيظه واخماد ثورته.

همه ان ينتهي من برنامج التصوير حتى لا يتأخر جدول العمل المنتظم.

- لقد اسمعك قارص الكلام.

- وانا أيضاً كلت له الصاع صاعين.

- ولكنه رجل طيب... وانت عنيدة لا تطيعين اوامره.

- اوه يا ريك! لماذا تقول ذلك؟ لماذا؟ الشيء الوحيد الذي خالفت فيه اوامره كان صعودي الى الصخرة...

- ركوبك الدراجة في تنقلاتك لا يعجبه ايضاً.

وصل جوليان يحمل لها كأس العصير ووضعه امامها على الطاولة.

- شكراً يا جوليان (نظرت الى ريك تكمل حديثها) اما بشأن الثور... فلم يكن لي علم بوجوده. لم اسمعكم وانتم تصرخون.

قال جوليان:

- لماذا جميع هذه الاعمال الخرقاء تصدر منك فقط يا فرنسيس؟

- انني اوفر لكم مادة للكلام والثرثرة... هيا نلعب الدومينو!

نظرت فرنسيس ناحية فيلكس واذا بها ترى غيبا غانت تحضر الى جانبه فيقوم من مجلسه ويمشي معها خارجاً من المقهى. لعبت فرنسيس الدومينو بعد ذلك وخسرت. لقد ساء حظها تماماً وارتبكت افكارها من شدة الغيظ.

عادت الى واقعها بعد ان احست بوجود بعض المتنزهين بالقرب من مجلسها. بدأ قرص الشمس يرتفع في كبد السماء وكثر الوافدون الى الشاطىء. جلست تراقب المد وهو يرتفع عبر الصخور ثم ينحسر من جديد ويجرف الرمال معه. قالت في نفسها: سأبقى ساعة ثم أعود ادراجي.

السيارات مزدحمة والمتنزهون جماعات. وجدت فرنسيس لنفسها بقعة منفردة وجلست بضع دقائق حتى سمعت وقع أقدام خلفها. ازعجها ان يقتحم أحد عليها خلوتها. نظرت عابسة لترى رجلاً

يشاطرها عبوسها وقد وقف امامها. شعرت بقلبها يتوقف عن الحركة وهي ترى فيلكس امامها. انها تخافه كثيراً. لقد بدا الغضب في محياه. ابتسمت قائلة:

- اهلاً فيلكس. ما الذي جاء بك الى هنا؟
- انت!
- انا. اجلس قبل ان اصاب بتشنج في رقبتي وانا انظر اليك عالياً.
- حظك كبير لأنني لا ألوي لك رقبتك بنفسي.

جلس قربها. كان يرتدي قميصاً ابيض يظهر وسامة صدره وكتفيه العريضتين بجلاء، وقد اخفى عينيه تحت نظارات سوداء. تنهدت وهي تطوي ركبتيها وتضع رأسها فوقها قائلة:

- وماذا فعلت الآن يا فيلكس؟
- انت امرأة مزعجة. تتعمدين ازعاجي دائماً وابداً.
- لا اعرف عما تتكلم. . . ماذا فعلت لك اليوم؟ يا الهي! اخبرني ارجوك!
- كان عليك ان تقابليني مع ريك في الثامنة والنصف صباحاً لنتدرب على مشهد المركب. لماذا لم تخبريني ان لديك مشاريعك الخاصة؟
- لا علم لي بهذا الموعد. لم يخبرني احد بموعد العمل هذا. لم اتعمد ازعاجك.
- لا اظنك ترغبين في افساد يوم ريك. اما يومي فلا يهمك افساده!
- لم يعلمني احد. . . انا لا اعرف. . . وان كنت لا تصدق. . .
- ماذا؟ انا مستعد اليوم لمبادلتك العنف ان رغبت. لقد انتظرت وصولك الى هنا. . . وهذا ساعدني في تهدئة طباعي الثائرة.
- ممن طلبت ان يعلمني بموعد العمل؟

عبس قليلاً ثم خلع نظارته وقال:

- غيا.
- ولكنها لم تخبرني.
- اتصل بها ريك صباحاً واكدت له انها اعلمتك بالموعد.
- ولكنها لم تخبرني. حقيقة هي لم تفعل.
- ولماذا تكذب؟
- لا اعرف. ربما تعتقد انها اخبرتني. . . وربما تعرف انها لم تخبرني. (وهي لا تحبها ولكنها لن تخبر فيلكس عن الحب المفقود بينها وبين غيا) انت لا تظن انني اتعمد التهرب من مسؤولية العمل؟ هل تعتقد انني افعل ذلك؟
- ريك لا يعتقد انك تتجاهلين القيام بواجبات عملك.
- ولكنك لا تصدق.
- لقد تبادلنا التهم البشعة البارحة وربما انت تنتقمين مني اليوم؟
- كيف تفكر بهذه الطريقة القبيحة! (استدارت تخفي وجهها عنه وهي تصارع غصة كبيرة في حلقها. وقفت وحملت حقيبتها وقالت بعصبية) علينا ان نعود الآن اليس كذلك؟
- لقد تأخر الوقت. المد ارتفع. (وقف هو ايضاً ومشى قربها) سنبدأ غداً صباحاً قبل موعد التصوير.

هزت رأسها موافقة وهي لا تقوى على الكلام من الغصة في حلقها.

- هناك امر آخر يقلقني. ركوبك الدراجة في تنقلاتك. ظننت بادىء الأمر انك ستصلين متأخرة الى العمل ولكنك لم تتأخري ولا مرة ولذلك لم استطع ان امنعك من ركوبها. كان خطرها يزيد من همومي وسكنتك بعيداً عن الجميع ايضاً.
- لم اكن الوحيدة التي سكنت بعيداً عن مركز القرية.
- صحيح، ولكنك الوحيدة التي لا تملك سيارة ولا يوجد هاتف للاتصال بك. (توقف ليأخذ نفساً) الم يخطر ببالك ان تخبري احداً الى اين تتوجهين هذا الصباح؟ ربما يحصل لك مكروه وانت وحيدة

ومخيفة.

- سيتوقف التصوير. . .

بقي صامتاً ولم يجب.

- الآن انت تسيئين الحكم علي.

بلعت فرنسيس ريقها بصعوبة واجابته ببرودة:

- آسفة. لم اقصد ذلك.

- صحيح ان الوقت قصير جداً واخاف من وقوع حوادث تؤخر التصوير ولكنني اهتم بسلامتك اكثر من اهتمامي ببرنامج التصوير المقرر.

- انا اخبرت المزارع بيل بوجهتي هذا الصباح. . هو يعرف مكان وجودي.

- نعم. وهو الذي اخبرني بمكانك بعد ان قلبت عليه الارض وانا افتش عن مكان عمله في المزرعة الكبيرة.

- انا آسفة.

- يجب عليك ان تأسفي. مشيت طويلاً وضيعت وقتاً ثميناً.

- يؤسفني ان افسد صباحك، ولكنني لم اكن اعرف بموعد العمل المرتقب بيننا وان كنت لا تصدقني فهذا شأنك.

كانت تتكلم بعصبية وقسوة.

امسك فيلكس بها وهزها هزاً عنيفاً من كتفيها، وادارها لتنظر اليه لم تستطع ان تنظر الى وجهه. ترك كتفها وامسك بذقنها ورفعه لتنظر اليه وقال:

- يا الهي. لم اعتقد انني سأرى فرنسيس هارون تذرف الدموع الساخنة. اعتقدت انها اقوى من ان تقهر. لا اسمح بذلك مرة ثانية. (اعطاها منديله لتمسح دموعها) هل نعلن الهدنة بيننا؟ (هزت رأسها موافقة وشاكرة. اجلسها فيلكس على العشب لترتاح قليلاً وبقيا صامتين لفترة طويلة. اشار الى الصخور امامه وقال) اخبريني عنها. انت تعرفين كل شيء هنا في هذه المنطقة.

سرت فرنسيس لأن الموضوع لا يتناولها ونظرت الى الصخور المرتفعة.

- يقولون ان هذه الصخور هي الدرج الذي يرتقيه الجبار الذي اعطى اسمه للمنطقة ولكنني لا اعرف عنه اي شيء. اما الصخرة لكبيرة هناك فهي تدعى الملكة بيس، من الواضح انها تشبهها صلابة. واذا امعنت النظر اليها فربما تجد شبهاً بينها وبين وجه المرأة. . .

- المكان موحش هناك حتى في يوم مشمس. كيف يبدو في فصل الشتاء؟

- مثيراً للغاية ولكنه خطر ومخيف. لقد قضى العديد من الناس نحبهم وهم يسبحون بالجوار. السباحة ممنوعة هنا. . . ماذا سنفعل الآن؟

- سأشاركك غداءك وسنمضي اليوم سوية ونستمتع معاً بنزهة خلوية. حان الوقت للغداء. هيا بنا نفتش عن مكان منعزل لنتناول فيه طعامنا منفردين.

- لقد جلبت غدائي معي.

امسك بها وانهضها وحمل لها حقيبتها وناولها اليها قائلاً:

- انها خفيفة على ما يبدو. لن يكفي الطعام لكلينا. هيا تمشي ببطء امامي وسأحضر بعض الشراب والطعام والحق بك فوق الصخور.

شاهدته فرنسيس وهو يهرول الى موقف السيارات وشعرت براحة نفسية للهدنة المرتقبة بينهما. اللعنة على غيبا وغيرتها العمياء. ولماذا تغار غيبا منها؟ انها تقيم في نفس الفندق مع فيلكس وتقاسمه طعامه وشرابه صباحاً مساء. . . لماذا تحرم فرنسيس لقاء صباحياً عابراً معه من اجل العمل وبوجود ريك؟ لا مجال للغيرة في هذا الموقف. ولكن غيبا فتاة حساسة وربما هي الحاسة السادسة التي اوحت اليها بان علاقة خفية تربط بينهما. . . مع ان جميع افراد العمل يربطون بينها

وبين جوليان، البطل والبطلة. . . او هكذا يبدو لمن يراقبهما. كانا يجيدان عملهما سوياً ويؤديان دورهما باتقان تحت اشعة الشمس المحرقة على الشاطىء او في ضوء القمر. . . وفي الساحات العامة كانا يمشيان وهما متعلقان ببعضهما، وكذلك في السينما كان يجلسان وايديهما متشابكة. . . يتنزهان على حصانين في الصباح على الشاطىء الرملي ويترافقان الى المقهى في المساء. كان جوليان رفيقها المقرب ومنقذها.

كان فيلكس هو مدير العمل. . . لا شيء اكثر. لم يحاول ان يلقاها في امسيات فراغها. معاملته لا تتعدى حدود المجاملة. يسرف في مدحها حين تجيد عملها ويقسو في توبيخها ان اخفقت. . . ولم يذكر دعوته لها الى الجزر اليونانية مرة ثانية.

كانت لا تزال سارحة في افكارها حين رأته يتجه نحوها وهو يحمل سلة الطعام.

- لقد رتبت امر سلة الطعام من اجل النزهة في الفندق حيث انزل.

- وهل كان ريك سيشاركنا يومنا؟

- اوه. لا. كنت سأصرفه فور الانتهاء من التمارين ليبقى الى جانب امرأته.

كلامه عن ريك وامرأته جعل قلبها يرف قليلاً. شعرت بسعادة عارمة وهي ترى نفسها مرتبطة به بطريقة عفوية ودية. ستستمتع بهذه النزهة العفوية ولن تفسد يومها بشعور الذنب. . .

- هل تفضلين يا فرنسيس البقاء هنا فوق الصخور العالية ام ترغبين في النزول الى الشاطىء الرملي؟

- بل ننزل الى الشاطىء. ارغب في الاستلقاء والتشمس لساعة او اكثر اذا امكن.

- صحيح.

- سأستفيد من الشمس. . . لن اسبح.

نزلا بسهولة مع طعامهما ووصلا الى الشاطىء. الرمل نظيف وناعم ودافىء.

- سأحتمي بتلك الصخرة وابدل ثيابي.

- وانا سأحتفظ بنظري بعيداً عنك بينما احضر لنا الطعام.

عادت فرنسيس بعد دقائق قليلة وهي ترتدي ثوب السباحة البيكيني الأسود. ومع انها ارتدته مراراً قبل الآن، الا انها شعرت ببعض الارتباك لأنها تنفرد معه في هذه البقعة النائية من الشاطىء. مشت راكضة وهي تحس حرارة الرمال تلفح باطن رجليها، وقد ربطت شعرها وعقصته اعلى رأسها وارتدت قبعة كبيرة فوقه لتحمي رأسها من حرارة الشمس. نظرت اليه وقد تمدد بثياب البحر.

- الشمس دافئة لذيذة.

- لون القبعة يناسب لون عينيك.

قدم لها فيلكس بعض الشراب البارد احضره معه. تناولته شاكرة وقالت:

- هذا الشراب بارد. . . لذيذ. ما هذا الطعام اللذيذ؟ دجاج وسلطة وفاكهة. . .

- زجاجات الشراب محاطة بالثلج.

- يسعدني ان اعود برفقتك في السيارة بدلاً من المشي.

- وكيف وصلت في الصباح؟

- استعملت شاحنة ثم جراراً ثم حماراً ثم اكملت طريقي مشياً على الاقدام.

- كل وسائل النقل في خدمتك. . . لحسن حظك ان كل شيء سار على ما يرام. يوماً ما ربما لن يكون الحظ حليفك وينالك بعض الأذى. ثم انك مدعاة للاثارة وانت ترتدين البنطلون القصير والبلوزة الرقيقة.

ضحكت كثيراً من تعليقه على لباسها وقالت:

- انها ليست كذلك.

- بلى. انها مثيرة. ربما ترغبين في اثارة المشاكل حولك... ومن السهل اثارتها وانت وحيدة، وبعيدة عن الجميع. اتمنى لو تكفين عن تلك الحماقة.

ران صمت ثقيل. انه يتكلم بجدية وقساوة. لماذا؟ هل هي فعلاً تحاول اثارة المشاكل؟ نظرت اليه وهو يحدق بعيداً في البحر الواسع وقد لوحته الشمس واكسبته سمرة محببة. لقد اكمل البحر هنا ما بدأ به البحر الابيض المتوسط في جزر اليونان. بدا قوياً نشيطاً صحيحاً مغرياً.. ماذا يمكنها ان تفعل لو هاجمها شاب بمثل صفات فيلكس؟

- كان سائق الشاحنة رجلاً ودوداً وقد تحدثت معه عن عائلته واولاده وتفرجت على صورهم.

- انا متأكد من ذلك...

وكانت امرأة تقود الجرار... (استدار لينظر اليها نظرة استغراب. اكملت) انا لا اقبل ابداً ان يوصلني شاب بسيارته.

رفع حاجبيه ساخراً:

- حتى ولا رجل يقود سيارة لانسيا سوداء؟

- لا استطيع مقاومة اغراء اللانسيا. ولكن يا فيلكس اعدك بان لا اكرر عملي هذا مرة ثانية.

شكراً. هذا يريح عقلي بعض الشيء. لا استطيع ان احتمل المزيد من التمثيليات حولي. تكفيني التمثيلية التي اقوم باخراجها.

- ولكنني اتمنى ان تسمح لي بركوب دراجتي.

- يمكنك ذلك... والآن، هل تريدين المزيد من الطعام او الشراب؟

ابتسمت له ابتسامة شاكرة وهزت رأسها نفياً. ثم بدأت تعاونه في توضيب الطعام في السلة... وبعد ان انتهت فرشت منشفتها فوق الرمال وتمددت فوقها على ظهرها تستقبل اشعة الشمس الدافئة وتدهن نفسها ببعض الزيت الخاص وهي تخفي وجهها بقبعتها الكبيرة.

- سأتجول قليلاً بين الصخور علني اعثر على سلطعون... ساجلبه واعرفه عليك.

سمعته يضحك ساخراً وهو يبتعد.

- لا تحتاج لذلك.

- لا تنامي طويلاً تحت اشعة الشمس. سمرتك كافية ولا تنسي ان جلدك الابيض الناعم لا يحتمل المزيد وربما تسبب الشمس في حرقه.

تمددت فرنسيس تفكر في طبيعة الحياة وغرابتها... لم تكن تحلم بانها تشارك اليوم فيلكس نزهة خلوية منفردة في شاطىء رملي منعزل. هي لم تنفرد به منذ حضرت الى كورنوال خلال الاسابيع الماضية... نظرت اليه يبتعد ثم اختفى. لم تعد تراه. المد يرتفع في هذا الوقت من النهار وقريباً ستصل المياه الى مكان وجودهما.

مر الوقت ولم تشعر بفيلكس وهو يقترب منها. اجفلت وهي تراه يقف فوقها يراقبها من اعلى. اغمضت عينيها من جديد وقالت:

- لقد عدت. اخفتني.

احست انه تمدد قربها على الرمال يرتاح. احست بالصمت يخيم عليهما. بقيت مستلقية تستمتع بحرارة الشمس، وبعد وقت قليل استفاقت واحست ان الشمس قد مالت قليلاً نحو المغيب. بدا فيلكس نائماً. المد يرتفع اكثر. عما قريب ستصل المياه الى مكانهما. عليهما ان يباشرا في طريق العودة. عليها ان توقظه من سباته.

نهضت بتأن وركضت الى المياه وحملت قبعتها فملأتها بالماء وعادت.

نظرت الى وجهه الوسيم وصدره وهو يتنفس بانتظام. افرغت الماء فوقه من قبعتها ببطء وهي تراقب حركاته بعد ان وصلت المياه الباردة الى جسمه الدافىء.

ولبضع ثوان بقيت فرنسيس ترتعد خائفة مما فعلت. نهض فيلكس فجأة وقد استغرب ما حصل له... وقف على رجليه

بعصبية وتبين له ما فعلت على الفور.

- ارجوك يا فيلكس. انا لا اقصد... كنت امزح. غصباً عني افلتت المياه...

تراجعت الى الوراء وهي تضحك.

- انت شقية. هل تعتقدين انني سأصدقك؟

امسك بالقبعة ورماها بعيداً ثم وقف امامها ويداه على خصره والماء يقطر منه.

- سنرى من يحب الماء اكثر...

مشى نحوها ببطء وتصميم وهو يترنح بليونة.

- فيلكس. اياك. لا يمكنك، ارجوك...

ركضت هاربة. كان افضل لها ان تبقى في مكانها وتتناول عقابها صامتة. كانت تضحك وتركض امامه وهي تتمتم كلمات الترجي والرحمة، امسك بها فيلكس بعد ان ادركها بخفة ومشى بها نحو البحر وهو يتجاهل صراعها للافلات من قبضته، ودفعها بقوة الى الماء...

احست برودة الماء غير المنتظرة فجأة تلامس جسمها الدافئ. بدأت شفتاها تصطكان وترتجفان. حاولت النهوض بسرعة وقد احست برغبتها الجامحة للثأر منه. ركض فيلكس امامها على الشاطئ وهو يضحك بملء شدقيه، واذا به يتعثر بحجر ويقع فوق الماء بعد ان فقد توازنه. وصلت فرنسيس اليه ودفعته كلياً الى الماء...

لم تنتظر قربه بل ركضت عائدة باتجاه منشفتها. لحق بها وامسكها وتدحرجا سوية فوق الرمال الحارة.

- انا آسفة... آسفة... (كانت تضحك وهي تتكلم. شعرت بسعادة عارمة وهما فوق الرمال). لقد ربحت يا فيلكس.

حاولت ان تتنفس علها تتمكن من السيطرة على توازنها. وبعد قليل مال فيلكس بعيداً عنها وقال:

- انت مغطاة بالرمال يا آنسة فرنسيس هارون.

- وهكذا انت ايضاً يا سيد فيلكس رافسكار.

نهض واقفاً وجذبها معه وسارا معاً الى البحر ليغتسلا من الرمال العالقة بهما.

بعد نصف ساعة كانا قد جففا نفسيهما وارتديا ثيابهما واستعدا للعودة. وقف فيلكس ينفض الرمال من شعره المبلل...

- كيف ترى منظر شعري؟

- لا بأس... نظراً لما قمت به.

نظرت فرنسيس الى قبعتها المبللة المرمية فوق الرمال. انحنت فحملتها ووضعتها في حقيبتها وهي تقول لنفسها: سأحملها معي للذكرى الجميلة.

وضعت حقيبتها على كتفها وسارت متباطئة خلف فيلكس، وهو يصعد الصخور الوعرة بمهارة ونشاط وحيوية.

٦ - المرأة الاخرى

في الثالثة صباحاً استفاقت فرنسيس على صوت المنبه. كان الظلام شديداً وفراشها دافئاً، ولكن ريك وعدها بأن يمر عليها بعد نصف ساعة فقط ليصحبها الى مكان التصوير. قامت من فراشها الدافىء ومشت على رؤوس اصابعها الى الحمام لترتب نفسها.

اخبرت فرنسيس العائلة التي تسكن عندها في المزرعة بأنها ستذهب الى عملها في الصباح الباكر. وهكذا دخلت المطبخ باكراً لتتناول بعض السوائل الساخنة التي ستساعدها على النشاط. بعد ذلك وقفت مستعدة في مدخل الباب الخارجي تنتظر وصول ريك بسيارته الكبيرة. لحظات قليلة ورأت انوار الشاحنة الصغيرة تقترب من مدخل البيت. خرجت فرنسيس بهدوء وصعدت الشاحنة وهي تحاول اغلاق بابها بأقل ضجة ممكنة حتى لا تزعج النائمين في المنزل.

- اهلاً ريك. الوقت مبكر جداً أليس كذلك؟

- حين تشاهدين جمال بزوغ الشمس وولادة النور تبشر بطلوع النهار، ستستمتعين بالمنظر الخلاب وتنسين نفسك يا فتاتي...

- اشعر انني مغمضة العينين وسوف لا ارى سوى الضباب. سأجد صعوبة في فتح عيني لرؤية الجمال الذي تتحدث عنه.

- ستكونين على احسن ما يرام بعد ان تبدأ التمارين.

- اعرف... القصة تدور اليوم حول وقوعي صريعة النزلة

الرئوية. قرأت النص سابقاً... (تذكرت خوفها من تصوير مشهد المركب. تذكرت انها ستلتقي فيلكس في هذا الوقت المبكر من النهار ثم تذكرت فجأة ان عليها ان تعتذر لريك عن البارحة وقالت بسرعة) ريك. انا آسفة بشأن البارحة. لقد تغيبت عن موعد التمرين ولكن احداً لم يخبرني عنه. ومهما اكدت الصديقة غيا غانت عكس ذلك... فهي لم تخبرني ابداً بالموعد. لو كنت مخطئة لاعترفت بذنبي وانتهى الأمر.

- اعتقد انك صادقة ولكن لا يهم الآن. يمكننا ان نتمرن اليوم قبل بدء التصوير. لقد رتب فيلكس التمرين من اجلك وحدك.

هزت رأسها آسفة واكملت:

- اعرف... وهذا ما يخجلني. (تنهدت بعمق) لا يمكننا الآن ان نفعل اي شيء. ما مضى قد مضى.

- على كل حال لم يفسد النهار.

نظرت اليه فرنسيس مستغربة ان كان نهارها هي ام نهاره هو...

- ماذا فعلت؟

- خرجت بصحبة زوجتي وتناولنا طعامنا في مطعم هادىء. وانت؟

- بعد عتاب مرير تفاهمنا وتابعنا نزهتنا على الشاطىء. (سرحت فرنسيس تنظر في العتمة خارج السيارة وترى بمخيلتها الشاطىء الرملي الدافىء... رجل وامرأة يركضان ويضحكان ثم يتدحرجان فوق الرمال الساخنة.

نظرت فرنسيس الى ريك تستغرب قوله:

- لقد جن جنونه وتوترت اعصابه حين لم تحضري... صعق. الم يخبرك؟ هناك شابة غرقت فوق الصخور وقد تمكن حرس الشواطىء من انتشال جثتها. وصلت الاشاعة تقول ان الشابة هي فرنسيس هارون. هرع فيلكس الى المستشفى واخبروه ان الفتاة توفيت وطلبوا اليه ان يتعرف الى الجثة... وكم كان فرحه عظيماً حين اخبرهم انها

ليست انت. لقد حمد الله وشكره الف مرة.

- اوه. ان ذلك بغيض يا ريك. لم اعلم بهذا الأمر. وهو لم يخبرني به.

- ماذا فعلتما في المساء بعد عودتكما من النزهة؟

- لعبنا الغولف. كنت ازاول هذه اللعبة مع والدي في الماضي. فيلكس يجيد اللعبة وقد سررت بمشاركته.

- اعتقد ان فيلكس يجيد كل عمل يقوم به.

- ذهبنا بعد ذلك الى مقهى وتناولنا القهوة. وبخني فيلكس على ارتداء البنطلون القصير وقال انه يسبب ارتفاعاً في ضغط الدم... (ضحكت مازحة) يتوجب علي الاعتذار من جوليان حين اراه. كنت قد رتبت موعداً للقائه في المساء.

حاولت فرنسيس ترتيب افكارها في شؤون اليوم بدلاً من التفكير فيا عملت اليوم الفائت. اخرجت النص من جيب معطفها وقد طوي عدة طيات وحاولت ان تعيد قراءته مستعينة بنور السيارة الخفيف. معظم المشاهد التي ستصور اليوم تحتاج للحركة اكثر مما تحتاج للكلمات... الحركات المطلوب تأديتها صعبة وتشعر بخوف داخلي حيالها. ومع ذلك حاولت ان تقنع نفسها بان مخيلتها تضخم لها الأمور... اعادت النص من جديد الى جيب معطفها وقالت:

- هل تعتقد ان الطقس مشرق والسماء صافية؟

هز ريك رأسه موافقاً ثم ادار الشاحنة باتجاه الشاطىء واوقفها بالقرب من بقية السيارات التابعة للاستوديو ولفريق التقنيين والمصورين.

كان هؤلاء يتمشون ويتحدثون بهدوء. بعضهم يدخن والبعض الآخر يتناول شراباً ساخناً. هرعت فرنسيس الى مقصورة الملابس والتقت المسؤولة عن الملابس مادج التي كانت تنتظر وصولها لتساعدها على تقمص شخصية ملوي ترويت واعادتها للحياة.

ساعدت مادج فرنسيس على ارتداء ثوب صوفي اخضر اللون

ولفت كتفيها بشال صوفي اصفر فاتح.

قالت مادج:

- لدي ثلاثة اثواب جافة لتبديلها يا فرنسيس وانت تتمرنين... ربما ستبتل ثيابك. سنحتفظ بافضلها للتصوير النهائي بعد التمرين.

هزت فرنسيس رأسها موافقة وابتسمت لها ابتسامة شاكرة وهي ترتجف ثم عادت الى مقصورة المكياج. دخلتها لتجد جوليان مرتدياً ثياب التمثيل وقد انتهى من وضع المساحيق الضرورية لدوره. استدار ينظر اليها وهي تدخل المقصورة.

- اهلاً فرنسيس. لماذا انت مرتبكة؟ (كان ساخراً هازئاً) انها ليست المرة الأولى ولن تكون المرة الأخيرة التي ستتخلف احداهن عن موعد ضربته لي.

اغلقت فرنسيس الباب وجلست على كرسي بالقرب منه. اضاءت فتاة التجميل المرآة الكبيرة.

قالت فرنسيس:

- انا آسفة يا جوليان... انا حقاً آسفة. كان يوم الأمس مليئاً بما لم يكن في الحسبان.

- لا تهتمي يا عزيزتي. كنت اتحدث حديثاً ودياً مع صديقك المزارع وانا اتذوق القهوة الذكية حين وصلت رسالتك الهاتفية تعلمني بانك تعتذرين وستتأخرين في العودة.

- رسالة هاتفية؟ اية رسالة؟

انتظر جوليان من فتاة التجميل ان تفرغ من وضع معجون التجميل على وجهها.

- فيلكس اتصل هاتفياً واخبرنا انك بامان، لم يهاجمك او يخطفك احد. وقال انك ستتأخرين...

- لم اعلم انه اتصل.

تذكرت فرنسيس انه استعمل الهاتف حين وصلا الى المقهى ليرتاحا بعد ان انتهيا من لعبة الغولف... عقصت لها الفتاة شعرها

وابعدته عن وجهها. تصفيف الشعر يأتي في المرحلة التالية بعد تجميل الوجه.

وحين انتهت من المكياج مشت برفقة جوليان الى الصخور بالقرب من الشاطىء حيث سيتم التصوير. كان فريق العمل ينتظر وصولهما وعلى اتم استعداد. بعضهم وقف يتحدث بهدوء. بدأ النور يبزغ والنسيم بارد يلسع والبحر رمادي لا يغري بالنزول اليه. رأت فيلكس هناك يتحدث مع فريق العمل ويشير الى الاماكن التي فيها ركزت كاميرات التصوير.

مشت فرنسيس مع جوليان باتجاهه... وحين لمحهما ترك مساعديه ومشى نحوهما. كان يرتدي معطفاً سميكاً رفع ياقته الى اعلى ليتقي البرد القارس في الفجر، وقد ربط بنطلونه داخل جزمة طويلة. حياهم وهز رأسه يتابع معهم تفاصيل العمل على الفور وقال:

ـ لدينا ساعة للتدريب قبل ان تظهر الشمس ويصبح التصوير ممكناً. وعندئذ ستنحصر المياه قليلاً عن الصخور بفعل الجزر. (اشار الى بعض الصخور الموجودة على الشاطىء وقال) ستقف يا جوليان هناك. ستكون متعلقاً باهداب الحياة، منهكاً تصارع الموت في الرمق الاخير. ستجلف فرنسيس في المركب وتحضر لمساعدتك. ستحملك الى المركب وتعود بك الى شاطىء السلامة... لا تنسى ان يدك اليمنى مكسورة. آسف لأن المشهد سيكون بارداً رطباً بالنسبة اليكما... (استدار يكلم فرنسيس) هل انت بخير؟ ما بالك؟ (هزت رأسها موافقة ثم تابع حديثه) فرنسيس... ستساعدين جوليان عبر الطريق الصخري الضيق المؤدي الى الكنيسة. هناك كاميرا داخل الكنيسة من اجل التصوير. ستدخلان من الباب الأمامي وانت يا فرنسيس ستغلقين الباب خلفك بالمفتاح. (توقف ونظر اليها) هل كلامي واضح ومفهوم؟ هل هناك اية اسئلة؟

وحين لم يسمع اي تعليق مشى فيلكس باتجاه الشاطىء. تبادل

جوليان نظرة متسائلة مع فرنسيس ثم وضع ذراعه على كتفها وشد عليها بحنان مشجعاً. نظرت اليه شاكرة تبتسم ابتسامة حانية. هي لم تخبر جوليان عن المهمة الصعبة التي تنتظرها في تصوير هذه اللقطات في المركب... ولكنه احس خوفها باحساسه المرهف وحاول تهدئتها.

قال فيلكس:

ـ هيا بنا يا فرنسيس لنباشر التمارين.

تنهدت وسحبت نفساً عميقاً ثم لفت كتفيها جيداً بشال الصوف ومشت متعثرة فوق الرمال.

قال فيلكس حين وصلت قربه:

ـ سيرافقك السيد جونسون ليتأكد من معرفتك لدورك في المركب وبعد ذلك سيأخذ ريك مكانه مع الكاميرا. واذا انقلب المركب رأساً على عقب وانت بداخله... لا تخافي... لدينا مركبان آليان مستعدان لانتشالك من الماء... فلا خطر عليك ابدا.

قالت ساخرة وهي تكاد تتقيأ:

ـ هذا مشجع!

ـ عليك ان تجذفي وحدك مسافة طويلة من اجل التصوير. (استدار ليتأكد من زاوية الكاميرا ثم اعاد يكلمها) الجزر سيساعدك في الوصول الى الصخرة، ولكن العودة ستتطلب منك قوة ودفعاً شديدين. وان كان الأمر متعباً بالنسبة اليك فسنقوم بحيل تصويرية عندئذ.

هزت فرنسيس رأسها تؤكد له موافقتها على القيام بالدور، وبدأ فيلكس يقودها نحو المركب وهو يقول مازحاً:

ـ ابشرك بفطور لذيذ ينتظرنا بعد الانتهاء من التصوير. هيا ادخلي...

نزلت فرنسيس الى المركب وجعلتها برودة الماء ترتجف... تسلقت بارتباك وبدأت تجذف. كانت بارعة في التجذيف منذ صغرها وهي

تقود المركب كأي فتى نشيط. . . ولكن ذكرى مأساة والديها هي التي تزعجها. اقفلت عقلها عن ذكرياتها وبدأت تجذف بقوة. . .

عمل الجميع حوالى الساعتين بجهد متواصل وتحت ظروف طبيعية صعبة. ولكن العبء الأكبر كان من نصيب جوليان وفرنسيس. لقد كابدا من الارهاق اكثر مما يحتملان. بدلا ثيابهما ثلاث مرات متتالية بعد ان ابتلت في مياه البحر. . . تناولا السوائل الساخنة علها تبعث فيهما الدفء. . . وحين ازف وقت التصوير النهائي كانا قد صمما على ان ينجحا وباسرع ما يمكن مستعينين بخبرتهما الواسعة ليأتي التصوير ملائماً للتمثيل، ولا يضيع الوقت والجهد في تكرار العمل. . .

جذفت فرنسيس المركب نحو الصخور وهي تتذكر بألم وحزن ما حل بوالديها. ولكنها اكملت عملها بنجاح. لقد ساعدها مديح فيلكس لما تقوم به واعجابه بعملها.

وبعد ان وصلت مع جوليان الى الصخور ومشت وإياه عبر الطريق الصخرية الضيقة المؤدية الى الكنيسة، وقع جوليان مرهقاً على الارض. لم يكن يحتاج ليمثل الارهاق لأنه كان مرهقاً فعلاً لكثرة ما مر به من صعوبات قاهرة ومميتة وهو في البحر. وكذلك فرنسيس رمت بثقلها على باب الكنيسة لتفتحه ثم اغلقته خلفها بالمفتاح وهي مجهدة تعبة. بينما تابع المصور التقاط المشاهد الأخيرة. . .

فتح باب جانبي دخل منه فيلكس وقال:

- لقد اجدتما كلاكما. التمثيل متفوق هذه المرة. اعتقد ان الحظ حليفنا. ريك متفائل بالنتائج المرضية وغالباً يكون محقاً في تفاؤله. (نظر اليها كأنه في موقف تأنيبي) اين الحرامات الصوفية؟ احضروها بسرعة. . . (لف فرنسيس بحرام صوفي. كانت تقف واسنانها تصطك ووجهها شاحب والماء يقطر من ثيابها) اسرعي يا فرنسيس وبدلي ثيابك قبل ان تتناول فطور الصباح.

كان جوليان قد اسرع خارجاً ومشت متثاقلة خلفه بينما

سمعت فيلكس يبحث امر المشهد المقبل مع فريق المصورين.

قالت في نفسها: هذا هو عمله. هل كانت تنتظر ان يهتم لما يحصل لها؟ لحسن حظها انها نالت بعضاً من مديحه بدلاً من توبيخه. . .

ركضت فرنسيس وهي ترتجف. نظرت خلفها لترى مجموعة العمال يرفعون المركب من الماء بعد ان انتهى دوره. لقد انحسر الماء قليلاً عن الصخور بفعل الجزر. . . انها لا تزال تشعر بالمركب يعلو وينخفض بها، كأنها لا تزال وسط الماء تسمع صوت الموج صاخباً في اذنيها.

ثقل المشي عليها وازداد ثقل الماء في ثوبها وهو يلتصق بها. الحرام الصوفي عبء ثقيل على كتفيها يصعب حمله. سمعت صوتاً خلفها واحست بذراع قوية تمسك بخصرها تمنعها من السقوط.

قال فيلكس:

- اسرعي يا فتاتي قبل ان تصابي بنزلة فعلاً. . . عليك ان تبدلي ثيابك.

- ابتعد عني يا فيلكس قبل ان تبتل ثيابك. . .

- لا تهتمي لأمري الآن. هيا بنا الى المقصورة.

جرها عبر الصخور في طريق ضيقة. كان العشب رطباً بالندى. اصطكت اسنان فرنسيس واحست انها لا تستطيع الوصول بالسلامة الى مقصورة الملابس.

- انا آسفة. . . ولكنني. . . (مالت بعيداً عنه تتقيأ. احست بفيلكس يعاونها ويمسك برأسها. وحين انتهت ناولها منديله لتمسح وجهها) آسفة. انا دائماً استعير منديلك.

- ما الخطب يا فرنسيس؟ لاحظت انك لست على ما يرام هذا الصباح ولكنك اكدت لي انك بخير.

- انا لست مريضة.

حاولت ان تخفي ارتجافها ودوختها.

- بل انت مريضة. (امسكها بين ذراعيه رغم معارضتها ومشى بها) كان بامكانك ان تخبريني قبل البدء بالتصوير. ربما كنا استفدنا من بديلتك او ربما كنا نؤجل التصوير الى الغد...

فتح لها باب مقصورة الملابس وساعدها على الدخول ونادى مادج لتساعدها في تبديل ثيابها بسرعة وقال:

- سأرسل بعض الشاي الساخن على الفور.

- لا. لا اريد.

ساعدتها مادج على تبديل ثيابها المبللة ووصل الشاي. بقيت ترتاح منفردة بهواجسها وافكارها في المقصورة. قالت في نفسها: لقد انتهى كل شيء. اسباب تعبها تعود لامور نفسانية اكثر مما هي جسمانية. لم تكن تتوقع ان يكون مشهد المركب سهلاً عليها ولكنه جاء اسوأ مما انتظرت.

لقد توترت اعصابها منذ الصباح وشعرت بتشنج في اوصالها. استدارت في مجلسها واخفت وجهها في الوسائد وانخرطت في البكاء. ربما يساعدها النحيب على راحة نفسها بعد ذلك.

لم تكن تعرف سبباً لبكائها ولكنها كانت تشعر بحاجتها للبكاء.

لم تسمع الباب يفتح ولكنها احست يداً حنونة تربت على كتفها. رفعت رأسها ونظرت الى فيلكس والدموع ملء مآقيها وعلى خديها. حدق بها فزعاً. جلست بسرعة ومسحت دموعها بيدها.

قالت بترفع:

- قيل لي انك لا تحتاجني الآن.

- ما الأمر يا فرنسيس؟

كانت لهجته قاسية خالية من اية عاطفة او شفقة. اجابته غاضبة:

- لا شيء. يا الهي. الا يمكنني ان اهنأ ببعض الراحة على انفراد؟ اذهب عني واتركني. انني بخير.

جلس على كرسي قربها وقال ساخراً:

- لا تكوني سخيفة. هناك ما يزعجك بالتأكيد. لن اتركك على

هذا الحال واخرج. وان كنت تفضلين ان ارسل لك شخصاً اخر غيري ليجلس قربك سأبعث به على الفور (هزت رأسها نفياً. اكمل حديثه) هل تشاجرت مع جوليان بشأن البارحة؟

- جوليان؟ كلا... بالطبع لا!

- ان كان جوليان ليس سبب بكائك فلماذا تبكين اذن؟ (لم تجب. اكمل قوله بقسوة) يا الهي. هل انا سبب بكائك؟ هل تعتقدين انني غول متوحش؟ لقد قمت باعمال صعبة من قبل: تسلقت الصخور وركبت الحصان وقمت بامور تمثيلية صعبة للغاية. وان كنت تخافين ركوب المركب كان عليك اعلامي بذلك وسأفهم الوضع واتدبر الأمر.

- انا لست خائفة من ركوب المركب. اذهب عني واتركني لوحدي.

- لن اذهب قبل ان اعرف سبب بكائك.

- حسناً. ساخبرك. (استدارت لتنظر اليه ودموعها تملأ عينيها) لقد غرق والدي في البحر على هذا الشاطىء. انقلب المركب بنا رأساً على عقب. لقد نجوت وحدي بينما توفيت والدتي ووالدي قبل ان يصل مركب الانقاذ. (بدأت تنتحب من جديد. دفنت رأسها في الوسائد لتخفي وجهها ولكنه اسند رأسها الى صدره). اعرف انني غبية في افعالي هذه وكنت اعتقد ان الزمن قد تخطاها...

وبعد صمت قال فيلكس بهدوء:

- لماذا لم تخبريني عن شعورك الحقيقي من قبل؟ اشعر الآن انني كنت رهيباً معك بالفعل.

- لا. انت لست رهيباً. (جلست ومسحت دموعها) لم اخبرك لأن الحادث وقع منذ عشر سنوات، وقد نسيت الحادث وما رافقه من حزن وألم وغم... الظاهر انني لم انس. على كل حال، معرفتك لن تفيد. اقصد ان العمل يجب ان ينجز عاجلاً ام آجلاً. (مسحت عينيها من جديد) آسفة يا فيلكس. انا نادراً ما انساق وراء

عاطفتي... واحزاني.

وقف منتصباً وسألها حازماً:

هل تشعرين ان بامكانك متابعة العمل اليوم؟

- طبعاً. بدأت اشعر بتحسن حقيقي. الدموع والشاي فعلا فيَّ فعل السحر.

انتظرت ان يبتسم لها موافقاً ولكنه بقي منقبضاً صامتاً يفكر. تابعت قولها:

- افضل متابعة العمل.

- حسناً.. وماذا سأفعل بك يا فرنسيس؟

- لا اعرف يا فيلكس. سينتهي العمل هنا خلال اسبوع وستنتزع الشوكة من جلدك. (لم تلق منه اي تعليق) انا آسفة لانني تسببت لك في مشاكل عديدة.

نظر اليها نظرة قاسية وترك المقصورة دون كلام.

تغير الطقس في نهاية الاسبوع بعد ان انتهى التصوير كلياً. وصلت الأخبار من لندن تبشر ان الاستوديو مسرور بالنتائج الباهرة التي وصلتهم... وكان فيلكس مسروراً لما انتهت اليه الأمور.

السبت الأخير قبل عودة فريق العمل الى لندن اقيمت حفلة عشاء راقصة في مطعم فخم في المنطقة للاحتفال بنهاية التصوير.

ارتدت فرنسيس ثوباً من القماش الاصفر الفاتح ليظهر سمرتها التي لوحتها الشمس. كانت فاتنة مثيرة ولكنها لم تستطع ان تبهر الرجل الوحيد الذي رغبت في لفت نظره. بدا فيلكس جذاباً ومهذباً ولكنه لم يطلبها لتراقصه مرة واحدة. كانت فرنسيس مسرورة لوجود جوليان قربها ليخفف من اهمال فيلكس لها. وحين آوت الى فراشها في المساء حاولت ان تفكر في علاقتها به وقالت في نفسها: لحسن الحظ ان العمل معه انتهى. ويمكنها ان تبعده عن حياتها المقبلة.

وفي اليوم التالي عادت برفقة جوليان الى لندن. كانت سيارته السبور تسابق الريح سرعة. وحين وصلا نزل جوليان ليودعها قائلاً:

- لقد امضينا وقتاً ممتعاً في كورنوال يا فرنسيس اليس كذلك؟

هزت رأسها موافقة وتمتمت:

- اشكرك كثيراً. لقد كنت لطيفاً معي يا جوليان. لن انساك ابداً.

رفع ذقنها وقال:

- من يعرف. ربما نجتمع مرة ثانية في مسلسل جديد او مسرحية تلفزيونية جديدة. (امسك بوجهها واكمل) ولكنني افضل المسرح وسحره. خشبة المسرح هي حبي الأول.

- وانا ايضاً افضل المسرح.

- ما رأيك بفيلكس المستهتر بعد ان عملت معه؟

شعرت فرنسيس بحمرة تكسو وجهها وحاولت جاهدة ان تجيبه دون تحيز:

- اعتقد انه مخرج مميز. يسعدني ان اعمل تحت قيادته من جديد. لقد تعلمت منه الكثير (ابتسمت ابتسامة رقيقة) انا على احسن ما يرام يا جوليان. هذه هي الحقيقة.

- الحمد لله. اعتني بنفسك واتصلي بي دائماً.

تحركت السيارة به مجدداً وبسرعة.

فرحت صديقتها زوي بعودتها الى لندن. وبقيتا تثرثران يوماً كاملاً دون انقطاع.

- طبيبك غاريت وليام اتصل بك الاسبوع الفائت وسأل عن موعد عودتك من كورنوال.

جلبت زوي طعام الغداء من اللحم والارز والفاكهة ووضعته على الطاولة.

- صحيح؟ ولكنه ليس طبيبي. (بدأت تأكل) الطعام لذيذ يا زوي.

- حضر لمشاهدة الرواية التي امثل فيها ثم دعاني لتناول القهوة. انه شاب لطيف. اليس كذلك؟ يفيد الزواج من طبيب يا فرنسيس... سيكون في خدمتك دائماً حتى لو كانت رجلك هي التي

عن فيلكس سهلاً. لماذا تشعر برابطة قوية تشدها اليه؟ ما هي هذه الرابطة؟. لا. لا يمكن ان تعترف بأن الحب هو الذي يربطها به.

اقنعت فرنسيس نفسها بأن لقاءها به سيكون اللقاء الاخير. لقد وضح فيلكس لها نوع علاقتهما. يمكنها ان تدخل حياته كرفيقة سفر فقط. يمكنها ان تقبل عرضه او ترفضه... سترفضه حتماً.

رن جرس الباب حوالى السادسة مساء السبت. ربما فيلكس قدم مبكراً. اسرعت وفتحت الباب لترحب بمقدمه. حبست انفاسها وهي ترى الواقف امامها.

- اهلا فرنسيس...

- مارك! مارك لوكاس. ما الذي جاء بك الى هنا؟ (حاولت ان تبتسم، جذبته الى داخل الشقة) مارك. تسرني رؤيتك. تبدو على احسن حال. دعني آخذ معطفك. اجلس.

كانت تثرثر كثيراً. المفاجأة اذهلتها. تذكرت شيستر وما حصل معها.

كان مارك يتفحصها عن كثب وهو يجلس. قال:

- لم تتغيري يا فرنسيس ابداً... بل انت الآن اجمل مما كنت عليه منذ سنة. ولكنك لا زلت على لطفك وانسانيتك. اعتقدت انه ربما تغلقين الباب في وجهي.

- كيف حالك؟ لقد قرأت عنك في الصحف. قرأت عن اعمالك الناجحة في ادنبرة. هل انت سعيد بالادوار الكلاسيكية التي تقوم بتمثيلها؟

هز رأسه موافقاً.

- نعم. ذهابي الى ادنبرة كان خطوة نافعة ليس فقط من اجل عملي... هل اغضبتك زيارتي لك؟

- ابداً.

- حضرت بنفسي لارى انك على ما يرام وانني لم اتسبب في تدمير مستقبلك المهني. هل انت حقاً سعيدة يا فرنسيس؟

تنهدت فرنسيس وتنفست بعمق.

- كل شيء يسير على ما يرام. انا بخير يا مارك. منذ عودتي من شيشستر وانا اعمل دون انقطاع. لقد انهيت الآن مسلسلا تلفزيونيا. هناك فرصة جديدة امامي لمسرحية برنارد شو في ليدز (ابتسمت مرتاحة) لا تهتم لامري ارجوك. انا بخير.

- يسعدني بل يريحني ان اعرف هذه الحقيقة.

اخرج علبة سكائره وقدم لها سيكارة.

- شكراً. انا لا ادخن. كيف حال ميدج؟

- انها بخير. تعيش الآن كما ترغب. يمكنها ان ترافقني في عملي في ادنبرة او ان تبقى في منزل حديث في باريس. انها سعيدة. (ضحك ضحكة قصيرة) انها تنتظر مولوداً وتكاد تطير من فرحتها. هي متحمسة جداً كأنه لم يسبق لامرأة ان حملت من قبل.

- اوه يا مارك. كم انا سعيدة لسعادتكما. تهاني القلبية.

ابتسم ابتسامة ماكرة وقال:

- لا اعتقد انني سأنجح بدور الأب؟

- هراء. ستكون خير اب... متى تنتظر المولود؟

- في رأس السنة الجديدة. لقد تأكدنا من الحمل منذ فترة وجيزة. الفكرة لا تزال جديدة علينا. (سحب نفساً من سيكارته واكمل بطريقة جدية) اشكرك يا فرنسيس. كنت اشعر بالذنب لما فعلته معك.

- يمكنك الآن ان ترتاح. انا سعيدة كما ترى واعمل بنجاح. ما حصل لنا في شيشستر كان غيمة صيف واعدك بان اذكرها بحنان دون كراهية او بغض.

- اشكرك يا فرنسيس. علي الآن ان اذهب. (حمل معطفه ومشى نحو الباب) هل لا زلت تشاركين تلك الشقية زوي في هذه الشقة؟

- نعم. وهذا يذكرني بأنني وعدتها بوضع رسالتها في صندوق البريد. سأنزل معك الى ناحية الشارع.

حملت الرسالة ونزلت برفقته.

- هل هذه السيارة الجديدة لك يا مارك؟

هز رأسه يفتش عن مفاتيح سيارة الستروان...

- كنت دائماً اعتقد ان اللون الأحمر هو لونك المفضل.

ابتسم وهو يفتح الباب وقال:

- ميدج هي التي انتقتها. (وضع يده على كتفها ونظر اليها متسائلا) عندما فتحت الباب شعرت انك تنتظرين وصول شخص معين... هل انا على حق؟

هزت فرنسيس رأسها موافقة. ربما يفيد مارك ان يعرف انها تحب. ثم أليس فيلكس شخصاً مميزاً في حياتها؟

حال مارك وعانقها بسرعة وقال:

- وداعاً يا عزيزتي فرنسيس. اتمنى لك حظاً سعيداً. انتبهي لنفسك.

- وداعاً يا مارك. اتمنى لك ولميدج حظاً سعيداً.

ابتسم وصعد الى سيارته ورفع يده مودعاً. بقيت فرنسيس تنظر الى الستروان تبتعد ثم ذهبت الى ناحية الشارع ووضعت رسالة زوي في صندوق البريد. عادت الى شقتها وهي سعيدة لأنها انهت علاقتها بمارك نهاية سعيدة. حضوره اقفل صفحة في كتاب حياتها.

ركضت السلالم وهي تشعر ان الوقت داهمها ولم تعد نفسها بعد قبل حضور فيلكس. وبعد دخولها الشقة بثوان قليلة سمعت الجرس يرن. ارتدت روب المنزل بسرعة وفتحت الباب وهي تبتسم ابتسامة عريضة مرحبة بمقدمه.

كان فيلكس كما توقعت هذه المرة، ولكن تعابير وجهه كانت قاسية غاضبة لا تتماشى مع ترحيبها الحار.

- اهلا فيلكس.

دخل مسرعاً الى غرفة الجلوس دون ان يرد لها التحية. اغلقت الباب واحست بعض الانقباض يزحف الى وجهها وهي تتبعه قائلة:

- اعتذر لأنني لست جاهزة بعد. اجلس قليلاً ولن اتأخر في ترتيب نفسي. هل ترغب ببعض القهوة او الشراب؟

بقي صامتاً ينظر اليها ولا يتكلم. نظرت اليه تستطلع ما به دون جدوى.

- افضل ان ابقى واقفاً.

بدت لهجته ساخرة ومريرة مما جعل الدماء تسرع في شرايينها وتلون وجهها.

- هل هناك ما يزعجك؟ لماذا تنظر الي هكذا؟

- احاول ان افهم السبب الذي يجعل رجلاً عاقلاً وذكياً يتصرف معك على عكس ما ينتظر منه.

انه غاضب حانق... فتحت عينيها وحدقت به مستغربة وقالت:

- لا افهم...

قاطعها بحدة قائلاً:

- هذا واضح. انك حقاً لا تفهمين والا لما كنت سمحت لمارك لوكاس ان يقترب منك. لقد شهدت منذ دقائق مشهداً مؤثراً حنوناً. هل لا زالت علاقتكما منذ شيشستر قائمة؟ (تسمرت مكانها وبقيت صامتة) صحيح؟ اجيبي؟

- انا... وهل تعرف مارك؟

- بالطبع. انه صهري، زوج شقيقتي جاسيكا.

تلون وجهها من جديد ثم اختفى اللون وشحب وجهها. رفعت يدها الى جبهتها وقالت:

- استطيع ان اشرح لك الوضع يا فيلكس...

ضحك ضحكة مصطنعة متهكمة وقال ساخراً:

- بالطبع... ولكنني لا احتاج للشرح. لقد رأيت بأم عيني (استدار بعيداً عنها كأن شكلها يقرفه، ثم امسك بالطاولة التي امامه وصرخ حانقاً غاضباً) يا الهي. كفاك تلعبين دور البريئة علي. انا

اعرف كل شيء عن علاقتكما في شيشستر. عرفتك منذ ذكرت اسمك لتوم ديفريل في الاستوديو... انا لست غبياً ولكنني صدقتك. اللعنة عليك. لقد قمت بافضل ادوارك التمثيلية علي.

- هناك العديد من الأمور استطيع ان اشرحها لك ببساطة واقناع... ولكن لا يمكنك ان تستنتج على هواك.

- انا واثق من مقدرتك على تلفيق الحوادث المقنعة. (استدار اليها من جديد) انا لا انكر عليك مقدرتك الفائقة في التمثيل ولكنني استهنت بقدراتك الاخرى...

بدأت اوصالها ترتجف وامسكت بكرسي خوفاً من ان تقع ارضاً. رفعت ذقنها بترفع وشموخ وقالت:

- انت القاضي والحكم والحاكم والمنفذ... انت مغرور يا فيلكس. ولكنني منذ عرفتك ظننت انه ليس بالامكان ان يثق الرجل بنفسه كل هذه الثقة.

ارادت فرنسيس لو يخرج فيلكس من الباب الآن ثم يعود من جديد، لتبدأ معه بداية جديدة ولكن هذه التمثيلية لم تنته بعد.

- لا... لا يمكن. هل تستطيعين ان تنكري ان مارك كان مستعداً ان يهجر زوجته لاجلك؟ (نظر الى وجهها وتبينت له عدم قدرتها على النكران) حسناً. هل بامكانك نكران هذه الحقيقة؟

- ميدج زوجة مارك.

- نعم. هذا اسم الدلع الذي يناديها به. اؤكد لك ان لا خطأ في الموضوع. مارك لوكاس في الثامنة والثلاثين من عمره. يمتهن التمثيل. شعره اشقر وعيناه بنيتان ويتمتع بصوت جهوري واضح. يعمل الآن في ادنبرة وعمل في السابق في شيشستر. لقد ارتبطت معه بعلاقة عاطفية يوم مثلت معه ادوار الغرام... ومنذ دقائق ودعته وداع العشاق ورأيتكما بعيني. انا لا اشك بالأمر.

مشى نحوها وامسكها من ذراعيها بلطف قائلاً:

- لا اعرف كيف استطعت ان تخدعيه من جديد ليحضر لزيارتك

ولكنك لن تقدري على الاحتفاظ به. مارك يحلم بعائلة... وفي نهاية المطاف ستجدين نفسك المرأة الثانية في حياته. ستلعبين الدور الثاني مما لا يدعو الى الفخر.

ـ لا اعتقد ان باستطاعتك ان تلعب دور الرجل المنافق في الحياة.

ـ انا لا الوم المرأة المتزوجة. ابقى دائماً ضمن حدود اللعبة... لا اجرح احداً.

كادت فرنسيس ان تضحك عالياً وهي تقول في نفسها: لا يجرح احداً... تركته وركضت باتجاه الحمام ولكنه لحق بها مسرعا وامسكها بقسوة.

ـ الى اين تذهبين؟

ـ الى اي مكان بعيداً عنك. ارجو ان تغلق الباب خلفك حين تخرج من حياتي.

ـ ولكنني لم انته من حديثي بعد. ستبقين حيث انت ولو بالقوة.

حدقت به فرنسيس وقلبها في صدرها يعلو وينخفض بسرعة. رفعت رأسها بشموخ وقد احمرت وجنتاها من الغضب.

ـ اصدقك... يا الهي... فيلكس رافنسكار يقول رأيه ولو بالقوة. حسناً، بما ان لا خيار امامي سأبقى. ولكنني لن اغفر لك فعلتك ابداً. ستندم على هذا اليوم طوال حياتك. وحين تخرج لن اراك مرة ثانية في حياتي. لا بأس.

ـ متى كنت ترينه؟

ـ ولماذا لا تسأله؟ ام انه لا يعرف ان شقيق زوجته يتتبع آثاره؟ (شاهدت وجهه يشتد عبوساً واعصابه تتشنج) طبعاً هو لا يعرف...

ـ لا حاجة بي الى سؤاله... انا اعرف ان علاقتك به انتهت منذ ذهب ليعمل في ادنبرة حيث انضمت اليه جاسيكا.

اتسعت حدقتاها وقالت باستغراب:

ـ انت تدبرت امر عمله في ادنبرة. (ضحكت ضحكة ساخرة)

فهذا أمر لا اظن ان مارك سيسر لمعرفته. وماذا ستفعل الآن؟ هل ستضربه على قفاه وتهدده ان يتصرف كولد طيب ويعود راكضاً الى زوجته؟ انت شقيق يعرف واجباته العائلية.

ران صمت ثقيل وبعد دقائق قال فيلكس بجدية:

ـ جاسيكا لا تعرف عنك اي شيء. واذا اجبرتني على الكلام سأخبرها. علاقتك بمارك لم تكن مستترة. لقد عرف العديد بها. انا اغريته بالعمل في ادنبرة وهو تعلق بالطعم. الممثلون لا يفهمون الشفقة فيما يختص بمهنتهم... عملت جهدي ان يكون الطعم مغرياً وقد علق به فوراً.

استدارت فرنسيس اليه. كان بامكانها الآن ان تخبره انها تركت شيشستر قبل ان يتركها مارك... ولكن ما الفائدة؟ انه لا يصدق قولها. ربما يصدق مارك ولكنها لن تطلب من مارك ذلك. لن تفسد عليه سعادته الجديدة مع عائلته ولن تجرح كبرياءه. وما يهمها رأي فيلكس بها... انها لا تعني له اي شيء. وهو ايضاً لا يعني لها اي شيء...

ـ كيف ستمنع مارك من رؤيتي؟

ـ لا انوي ان امنعه. انا لست غبياً. اذا كان مارك ضعيفاً ليبقى على علاقته العاطفية بك فان جاسيكا ستكون افضل حالاً بدونه. بدلاً من ان تشاركها امرأة تافهة ذات وجهين مثلك. هذه النعوت لا تروقك يا فرنسيس ولكن المرأة الاخرى تنتظر اوصافاً مشينة او ما يجرح شعورها وكبرياءها. ثم انا لا اعتقد ان مارك سيفضلك على جاسيكا. انه يحبها وهي تحمل ابنه. (تكلم ببطء شديد) ولقد اصبحت لعبتك مكشوفة... وربما تجدين ان مارك لا ينفع.

ـ وماذا تقصد بقولك؟

ـ انه تهديد. عليك ان تكوني عاقلة في تصرفاتك. ان اكتشفت انك تحاولين الانتقال بعملك الى حيث يعمل هو، عندئذ سأجعل حياتك المهنية صعبة للغاية. هل فكرت بهذه الأمور من قبل؟

مشت فرنسيس الى الطاولة القريبة ومنها اخذت سيكارة اشعلتها بيد مرتجفة. هي عادة لا تدخن ولكنها شعرت بحالة هيستيرية تتملكها ورغبة في ان تضربه.

- اشكرك لانذارك. اظن ان غضبك في عيد ميلاد والدتك يعود لهذا السبب. ظننت انني احاول ان اتدخل في شؤونك العائلية من اجل مارك... وقد ارتحت حين تأكدت انني كنت اجهل الرابطة العائلية بينكما. لقد تمكنت من اخفاء هذه الحقائق بلباقة. انت حقاً ممثل بارع. بدأت افهم الكثير من الأمور الآن. لقد احسست تحفظك في علاقتك بي مما اثار تحفظي وشكوكي.

- كدت تخدعيني. كدت اصدق ان المخبر قد تجنى عليك في تقاريره عنك وعن علاقتك بمارك في شيشستر.

- اليس هذا امراً هاماً جداً؟ من يستطيع خداع مجرب خبير مثلك؟ انا سعيدة لانني تمكنت من خداعك. كان ذلك مسلياً في بعض الأحيان (شعرت انها تمادت في سخريتها) ارجوك ان تخرج الآن. لقد قلت ما فيه الكفاية.

- اخرج حين انتهي (مشى قليلاً ليقف امامها) من الواضح اننا لن نحظى بتشريفك في منزل العائلة هذا المساء او في اي وقت آخر. ساعتذر لوالدتي بالنيابة عنك وستختفين كلياً من حياتها. هل تفهمين؟ لقد نسينا مساعدتك لها في محنتها. اعتقد انك توافقين... انك تهددين حياة ابنتها الوحيدة وحفيدها المنتظر. لا اظن انه سيروقك ان اخبرها عن حقيقة شخصيتك. ارجو ان لا تجبريني على ذلك في يوم ما.

هذا مجحف ووحشي... لقد بدأت تحب الليدي بكل جوارحها.

- انت لا تعرف عني اي شيء يا فيلكس. انت مغرور وتعتقد انك تعرف، ولكنك في الحقيقة لا تعرف ما فيه الكفاية.

- اعرف انك امرأة جميلة وفاتنة... ربما خطيرة.

نظرت اليه بوحشية. جذبها اليه بقسوة وعانقها رغماً عنها. وحين استطاعت فرنسيس ان تفلت قالت:

- اللعنة عليك يا فيلكس. اتركني والا...

- لقد قمت بتمثيلية مقنعة يوم دعوتك للسفر معي الى جزيرة كورفو.

- وهذا ما يحتمل الآن في صدرك ويسبب لك الغليان. (حاولت الافلات من قبضته دون جدوى) كان علي ان انتهز الفرصة الذهبية لأكون آخر صرعاتك. هل جرحت كبرياءك؟ دعني اخبرك يا فيلكس ان...

- انا واثق بأن مارك لا يهمه ان اشاركه فتاته. اذا كان هذا ما يشغلك.

نظر اليها نظرة ساخرة هازئة. رفعت يدها بقسوة وصفعته صفعة مدوية.

تسمرا في مكانهما فترة. ابتسم فيلكس وتكلم بلهجته الساخرة:

- لا زلت اجدك امرأة مثيرة وجذابة وانت ايضاً تبادلينني شعوري... مهما كنت تقولين غير ذلك يا عزيزتي فرنسيس.

- انا اكرهك.

تمتمت قولها وهي تذرع الدموع سخية من مآقيها. تركها وقال:

- انتظرت منك ذلك. الحقيقة مؤلمة جارحة ولكن عليك ان تتذكري هذه الحقيقة من اجل راحة نفسك.

- سأتذكر ما قلته لي طوال حياتي يا فيلكس. لن انساه ابداً. (رفت عينيها وقالت ساهمة) انت تمثل دور... الطاغية، ربما ستكتشف هذه الحقيقة بنفسك في يوم من الأيام.

حدق بها ملياً ثم خرج على اعقابه واغلق الباب خلفه بقسوة وصرامة، وكأنه يختم علاقته بها نهائياً في تصميم واصرار.

٧- الحادث

العمل هو الدواء الشافي لجراح القلب المؤلمة. ألقت فرنسيس بنفسها في تمارين العمل استعداداً لبداية الموسم في ليدز. التمارين مضنية حتى انها مع نهاية اليوم كانت تجد نفسها وقد استلقت في سريرها تنشد الراحة ولا تقوى على التفكير... ومع الوقت استجمعت توازنها وحاولت ان تقنع نفسها بأنها لا تهتم لرأي فيلكس بها. بدأت تنمي صداقات جديدة في محيط عملها، وتدريجياً بدأت علاقتها المدمرة بفيلكس رافنسكار تتراجع في اهميتها.

رحبت فرنسيس بفكرة تمديد عملها في ليدز وابتهجت لبقائها بعيدة عن لندن... البعد عن فيلكس هو مبتغاها في الابتعاد عن لندن. كانت صديقتها زوي تمدها باخبار لندن في رسائلها المتواصلة. اخبرتها ان دورها في التمثيلية قد مدد للسنة الثانية... وصلتها رسائل من الليدي رافنسكار تدعوها لزيارتها في أول فرصة تعود فيها الى لندن، ولكن فرنسيس كانت تجيب على رسائلها بطريقة ودية وتجعل الفترة الزمنية في كل مرة اطول بين رسائل الليدي ورسائلها الجوابية، وهي ترجو ان تختفي تدريجياً من مسرح حياة الليدي. لم تكن ترغب في تلبية دعوات الليدي بعد عودتها الى لندن، لأنها كانت واثقة ان اللقاء بينهما من جديد سيترتب عليه خيبة أمل كبيرة لها.

في منتصف شهر اكتوبر (تشرين الاول) عرض المسلسل

التلفزيوني الجديد بتروت مما زاد من شعبية فرنسيس في الفرقة حيث تعمل في ليدز. ظهرت في الجرائد اليومية صورة فيلكس مخرج المسلسل مع رهط من الممثلين والممثلات كدعاية للمسلسل. ومن مفارقات القدر ان صورتها تجاور صورته في الجريدة... طبعاً هذا لن يسره. قرأت ما كتب تحت الصور وتذكرت وقائع التصوير وما رافقه من احداث وذكريات حية... ذكرت الجريدة ان فيلكس يعمل حالياً في اخراج مسلسل وثائقي عن الناس الذين يعيشون في جزيرة مول. شعرت بمرارة اكيدة وهي تتذكر اتهاماته القاسية المتجنية عليها. بدأت تفكر بتفسير لقائها الاخير معه تفسيراً فلسفياً علها تجد له ما يبرره. نجاحها في مسلسل بتروت ساعدها على مداواة جراح قلبها.

عادت فرنسيس الى لندن في عطلة الميلاد وهي تتجول في الشوارع وترى زينة المحلات استعداداً لاستقبال مواسم الاعياد

نجاحها في مسلسل بتروت عاد عليها بعروض عمل عديدة في المسرح والتلفزيون. وبعد تدقيق اختارت دوراً في رواية عصرية حديثة كتبت خصيصاً للتلفزيون. كتبها كاتب قدير ونالت حمداً وثناء من النقاد. عرضت على شاشة التلفزيون في شباط ونالت ما تستحقه من النجاح.

مر على علاقتها بفيلكس حوالى الستة اشهر. حاولت فرنسيس ان تخرج مع عدد من الشبان ولكن احداً منهم لم يحرك فيها اكثر من عاطفة صداقة... كانت مستعدة لتقبل علاقات جديدة علها تنسيها مأساتها بفيلكس. ولكن املها خاب ولم تجد في هذه العلاقات ما يثير حماسها او عاطفتها.

لم تكن مفاجأة لها حين دعاها مخرج التمثيلية الاخيرة لتحضر برفقته غداء اقيم على شرف ممثل قدير امضى ستين سنة يعمل على خشبة المسرح.

وجدت فرنسيس نفسها محاطة بممثلين ومخرجين وعاملين في مهنة التمثيل. أجالت النظر حولها تتفرس في الوجوه العديدة التي تعرفها، وهي تسير مع مرافقها وسط قاعة الاحتفال الفخمة في فندق كبير بلندن. جلست الى طاولة ونهض جميع الجالسين من الرجال ترحيباً بقدومها. لفت نظرها وجه أليف: وجه فيلكس رافنسكار.

شعرت فرنسيس بالدماء الحارة تسرع الى وجنتيها ثم ارتبكت واحست ان قلبها قد توقف لحظة عن ضرباته المعتادة. ابتسم لها فيلكس ابتسامة باهتة وانحنى يصافحها مرحباً:

- اهلاً فرنسيس... كيف حالك؟

ظنت فرنسيس ان الصدفة قد جمعتها، وانه لا بد ان يتصرف تصرفاً لائقاً امام الآخرين، الذين يعرفون حق المعرفة انه عمل معها في المسلسل التلفزيوني بتروت... ومن غير المعقول ان يتجاهلها تماماً.

حاولت فرنسيس ان تبتسم له، ولحسن حظها بدأ تقديم الطعام على الفور وانهمك كل منها في طعامه. الطعام يبدو لذيذاً ولكن قابليتها قد اختفت وتوقعاتها لتمضية سهرة مبهجة... ضاعت معها. قالت في نفسها: لا تدعيه يفسد عليك سهرتك... تجاهليه تماماً. انسيه... ولكن هل كان هذا شيئاً معقولاً؟

بدأت الخطابات الرسمية تتوالى. كانت ممتعة وخفيفة، ولكن ظروفها كانت غير مؤاتية ولم تستطع ان تركز تفكيرها في ما تسمع بل وجدت جل انتباهها ينصرف الى الرجل الذي لا يبعد عنها الا امتارا قليلة. كان بامكانها رؤية شعره الاسود وسماع صوته الدافيء الرنان الواثق...

غضبت فرنسيس لسوء طالعها الذي جعلها معه على طاولة واحدة. ولكن فكرة ان الصدفة هي التي جمعتها تبخرت تلقائياً حين نهض مرافقها في نهاية الحفلة وانحنى يكلمها متمتماً:

- انا مدين لفيلكس رافنسكار ببعض الجميل، ولهذا سأتركك

برفقته الآن. لقد اصر على ان اختفي وبسرعة مع نهاية الحفلة، ولكنني اعترف لك بانني افعل ذلك كارهاً. صدقيني. لا يمكنك ان تتعاملي معه بسهولة... لقد عملت انت معه في السابق ومن الواضح لي انه يحتاجك لمسلسل جديد. استفيد من هذه الفرصة السانحة واتمنى لك حظاً سعيداً.

احست فرنسيس بمهارة فيلكس في ترتيب هذا اللقاء القسري معها. بقيت جالسة في مكانها وهي تراقب مرافقها ينصرف مسرعاً ويختلط بالخارجين من الحفلة. استدارت لتنظر الى فيلكس وقالت له بعصبية:

- لا افهم لماذا تصرفت على هذا النحو؟

- اعرف. ولكن دعيني اشرح...

- لو عرفت بتدبيرك لما حضرت ابداً.

- اعرف ذلك ايضاً. ولكنك جالست اربعة مخرجين مرموقين وكتاباً شهيراً. والطعام كان جيداً، والخطابات مسلية. ربما هناك فائدة تنتظرك.

- اوافقك الرأي. ربما كنت استمتعت بأمسية طيبة لو كانت الظروف أفضل.

حدقت به غاضبة. كان يجلس متوازناً ورابط الجأش. لا شك انه يتذكر اللقاء الصاخب الاخير بينهما ويحس بان رفقته مرفوضة من قبلها. لقد احتال للقائها... استغل مركزه المرموق في مهنته وسخره لخدمة اغراضه الشخصية. انه لا يقهر... وها هي تقابله بعد غياب ستة اشهر ولا تزال تشعر برهبة وارتباك وتحس الألم في قلبها. انها لا تتحكم بمشاعرها تجاهه وتجهل مصير قدرها معه. الفكرة ترعبها. سحبت نفساً عميقاً وتشجعت تحاول ان تحمل حقيبتها وتتركه لشأنه. ولكنها تحس وجوده بكثافة وهو يقف بالقرب منها، وكل عصب في كيانها قد تنبه لقربه وبدأ يرسل موجات مختلفة من الاحاسيس الغامضة.

قال هادئاً:

ـ لك ملء الحرية في الخروج ولكنني كنت آمل ان تمنحيني بعض الوقت. (ابتعد عنها قليلاً ليفسح لها المجال لتخرج وبقي يراقبها عن كثب) اريد ان اشرح بعض الأمور.

ـ سابقى. انني بشوق لمعرفة ما الذي حدا بك لتتكبد كل هذه المشقة من اجل لقائي...

مشت الى جانبه وهو يقودها الى قاعة جانبية وجلسا في ركن منعزل.

ـ عرفت من غاريت وليام انه يخرج مع صديقتك زوي.

ـ زوي؟ (نظرت اليه نظرة حادة ثم اكملت) زوي من افضل الفتيات وانا واثقة بأن غاريت لن يصاب بأي اذى من علاقته بها.

ـ كم انت سريعة الدفاع عن صديقتك.. كلامي كان بريئاً ولم اقصد منه الا فتح باب للحوار... ثم ان غاريت رجل ناضج ويعرف كيف يحمي نفسه.

ـ حقيقة؟ يدهشني سماع كلامك، وانت معتاد على التدخل في حياة الآخرين.

شد على اسنانه وحاول ان يتجاهل تهجمها عليه. افسح مجالاً للخادم كي يضع صينية القهوة امامها على الطاولة ويصبها لهما.

ران صمت ثقيل وبعد ان غادر الخادم مجلسهما قالت فرنسيس بحدة:

ـ لماذا رتبت امر هذا اللقاء يا فيلكس؟

ـ لانني كنت واثقاً بانك سترفضين لقائي لو حضرت الى منزلك، وكذلك التحدث معي هاتفياً لو اتصلت.

ـ تدبرت حالة أجبرتني فيها على الكلام. بدأت افهم. اعمالك تنبىء عن صفاتك... هذا ليس قصدي. اريد ان اعرف لماذا تريد التحدث معي؟ الم تقل ما فيه الكفاية في آخر مرة التقينا؟ لقد اتضح لي ان الامر بيننا قد انتهى كلياً.

حرك السكر في فنجان قهوته وبدا كأنه يفكر ثم قال:

ـ كنت خطيباً مفوهاً... اليس كذلك؟ اما انت فقد اهملت اطلاعي على الحقائق كلها. (انتظر لحظة) انت تعرفين الآن سبب رغبتي في الحديث معك. اريد ان اعتذر عن آخر لقاء بيننا.

انه على حق. هناك سبب واحد يضطره لتدبير هذا اللقاء. صادف الحقيقة حتماً واكتشفها خلال هذه الفترة الزمنية... عرف ببطلان تكهناته في ان علاقة غير شرعية تربطها بصهره... لقد انتظرت طويلاً هذه الساعة حين يأتي نادماً معتذراً... وها هو يعتذر لها فعلياً، ولكن شعورها بالسعادة والبهجة كان وهماً. لم تفرح باعتذاره ولم تهلل له. انه يعتذر بطريقة آلية جلفة دون اي تعبير حقيقي عن شعوره بالندم.

ـ يجب ان انتشي فرحاً لاعتذارك.

حتماً هو لم يعتد على الاعتذار ابداً. ربما لم يعتذر في حياته من قبل. انه يعتذر رغماً عنه.

ـ الحق معك. انت تسخرين من تصرفاتي مع انك عادلة في حكمك.

استدارت اليه ضاحكة وقالت:

ـ ها انت تعتذر مني ولكنك تحاول ان تشرح لي ان الخطأ ليس خطأك.

ـ لم اقصد ذلك ابداً. (اخرج من جيبه علبة سكائره وقدم لها واحدة ولكنها اعتذرت. اخذ سيكارة لنفسه واشعلها ببطء وهو ينظر اليها. سحب نفساً منها ونظر الى الدخان واكمل) كنت غاضباً في تلك الأمسية. وقد قلت اشياء مؤلمة.

ـ امرأة بوجهين.

ـ نعم. صحيح. في ذلك الوقت شعرت ان هذه صفاتك... آسف. كنت غاضباً جداً. عادة اجيد التحكم باعصابي ولكن حين يفلت الزمام من يدي اقول اشياء اندم عليها. انا لست فخوراً بما

فعلت في تلك الامسية . . . الا يثيرك ان تعرفي لماذا اكتسبت نظرة جديدة الى الموضوع؟

- ربما تحدثت مع مارك؟

اكمل فيلكس سرد الحقائق ولم يعقب على قولها:

- سافرت في الأسبوع الفائت الى اسكوتلندا لاتعرف الى ابن اختي. لقد ولد قبل موعده باسبوعين مما سبب لنا رعباً وارتباكاً. خرجت مع مارك لنحتفل بولادة ابنه . . . وبعد ان شرب وانتشى انحلت عقدة لسانه وبدأ يثرثر دون انضباط. وصل به الكلام الى علاقته بك. تكلم بحرية تامة لأنه يعتبر ان مغادرة شيشستر كانت نقطة التحول في علاقته مع جاسيكا. سرد ذكرياته هناك وباح لي باسراره. علاقتي بشقيقتي التوأم علاقة خاصة. كنت اشعر انني المسؤول عنها وقد انقذتها من عدة ورطات وقعت بها. ولذا حين ساءت علاقتها بزوجها طلبت مني ان اتدخل. وكدت ارفض التدخل لأن صداقة قوية تربطني بمارك ولكن رابطة الأخوة كانت اقوى . . . جاسيكا شابة ذكية ومسلية وتحمل عاطفة قوية في داخلها. عرفت مارك لسنين عديدة قبل ان يتزوج جاسيكا، ولذلك كان يشعر ان باستطاعته ان يتفوه امامي بما لا يستطيع الرجل عادة ان يتفوه به امام شقيق زوجته. واهم ما سمعته منه هو انك تركت شيشستر قبله . . . وكنت وراء محاولته الجديدة لانقاذ زواجه من الفشل المحيط به.

- وكيف اتى على ذكر اسمي؟

- كأن يتساءل كيف اننا عملنا سوية في مسلسل بنروت . . . لقد مدح موهبتك التمثيلية ومن هناك نفذ بسهولة الى مدحك كانسانة نادرة الوجود. عرفت منه ان اجتماعه بك كان عفوياً وانه حضر دون موعد مسبق من اجل ان يريح ضميره المثقل، لانه كان وراء تصميمك على مغادرة شيشستر . . . لماذا لم تشرحي لي هذه الملابسات يا فرنسيس؟

- اشك بانك كنت ستصدقني وانت على ما كنت عليه من الغضب. كنت تعتقد انني اقيم علاقات عاطفية مع رجل متزوج. لم يعد يهمني رأيك فيَّ . . .

- ولكنك غضبت مع ذلك . . .

- صحيح. ربما كان رأيك يهمني من الناحية المهنية. كنت اعتقد اننا اصبحنا صديقين بعد ان عملنا سوية. احترمك كمخرج ناجح ورأيك المهني يهمني . . . ولا اعتقد ان انساناً ما يجب ان يُسمح الآخرين ينعتونه بما يشين؟

- فهمت. ولكنك تفهمين موقفي وتقدرينه. كنت اعرف انك الفتاة التي كانت على علاقة وثيقة بمارك . . . ثم ان زيارته المفاجئة لك جعلتني اتوصل الى النتائج الخاطئة.

- ربما كان من السهل ان تعتقد ذلك.

- اشكرك لسماع اقوالي. آمل ان تقبلي اعتذاري وتسامحيني. انا من برج العقرب ويصعب علينا ان نعترف باخطائنا . . . لا يناسب طبعنا. يمكنني ان اركع ارضاً واستسمحك لو رغبت في ذلك.

تذكرت فرنسيس كم حلمت به راكعاً تحت قدميها يطلب منها الصفح . . . انه الآن يطلب ذلك حقاً، ولكنها لا تستسيغ طلبه والفكرة لا تروق لها قطعاً.

-اقبل اعتذارك يا فيلكس. يبدو لي ان الامر ليس بذي بال . . . لا يستأهل.

- ألست سعيدة لأن سوء التفاهم بيننا قد زال؟

- اعتقد ذلك.

- من السخف ان اعتقد ان هذا الامر من الاهمية لك كما هو بالنسبة الي. (نهض واقفاً) اتمنى ان لا تتناول خيبة أملك بي . . . والدي ايضاً. انها تحبك محبة خالصة يا فرنسيس. واتمنى ان تزوريها من جديد بين وقت وآخر حين تسنح لك الفرصة (وقفت تمشي معه الى خارج الفندق دون ان ترد على اقواله) هل شاهدت بنروت في

ليدز؟

استدارت تنظر اليه متعجبة وسألته:

ـ كيف عرفت انني كنت هناك؟

ـ عرفت من غاريت... لقد سمع من زوي.

فتح لها الباب لتخرج.

ـ فهمت. نعم شاهدته على التلفزيون (هروبها الى ليدز لم يكن مجدياً اذن) هل سرك مديح النقاد لعملك؟

وطلبت معطفها من مكتب الامانات في الفندق.

ـ لا اشعر براحة الى اي عمل انتهيت منه. دائماً اتمنى ان افعل شيئاً مختلفاً. ولكنني تمكنت من مشاهدته دون ملل اوخجل. علمت ان جوليان حصل على عروض سخية بعد هذا المسلسل...

ـ صحيح؟ ممتاز. وماذا يفعل الآن؟

ـ كنت اعتقد انك تعرفين اخباره... انه يعمل في المسرح الوطني

ـ ولماذا اعرف اخباره؟

ـ ظننت انك على علاقة وثيقة به.

ـ جوليان صديق. اتبادل معه بطاقات المعايدة في مواسم الاعياد. هذا كل شيء...

ـ فهمت. هل حصلت انت ايضاً على عروض مماثلة؟

ـ لقد كوفئت بما فيه الكفاية بعد عملي في بيروت... انت مثل مارك تحاول ان تحمل ضميرك وزر اساءتك الي. يمكنك ان ترتاح وتريح ضميرك لأنني نسيت اساءتك وسامحتك.

وصلا الى خارج الفندق. رفعت فرنسيس ياقة معطفها وقالت ببرودة:

ـ وداعاً يا فيلكس. اظن ان لقاءنا هذا كان امراً لا بد منه في يوم من الأيام.

ـ هل اطلب لك سيارة اجرة؟ يبدو ان الطقس ماطر.

ـ لا. شكراً. افضل المشي.

ـ وداعاً يا فرنسيس واتمنى لك حظا سعيداً.

حين وصلت الى الشقة كانت رسالة من صديقتها تنتظرها. تقول الرسالة:

«اتصل مكتب العمل بك يريدون ممثلة لدور روزالندا... ان كنت جاهزة وموافقة اتصلي فوراً. الامر هام وضروري. وداعاً يا فرنسيس.

صديقتك زوي».

اتصلت فرنسيس بمكتب العمل على الفور واكدت لهم انها مثلت هذا الدور من قبل في رواية شكسبير «كما تحبها»، وهي جاهزة... وعلى الفور رتبت حقيبة سفرها وكانت في طريقها الى القطار الذاهب الى نوتنغهام.

بقيت فرنسيس تقوم بهذا الدور ثلاثة اشهر. وعند عودتها الى لندن حملت باقة من زهور البنفسج وذهبت لزيارة الليدي رافنسكار في منزلها.

فتح لها سيمكن الباب وادخلها الى قاعة الجلوس الواسعة وفاجأها قائلاً:

ـ الليدي مسافرة يا آنسة هارون. انها تزور السيدة جاسيكا في ادنبرة.

ـ آسفة. لم اكن اعرف. هي حتماً سعيدة بولادة حفيدها. ارجو ان تخبرها بمقدمي حين تعود.

ـ هل ترغبين في رؤية السيد فيلكس؟

لم تر فرنسيس عذراً مقبولاً لتعتذر.

ـ هل هو هنا؟ حسناً... ولكنه ربما يكون مشغولاً وانا لا اريد ازعاجه.

ذهب سيمكن مسرعاً.

فتح باب جانبي وكان غاريت وليام يقف امامها.

ـ غاريت. . . انت ايضاً هنا؟ كيف حالك؟

امسك غاريت بيديها وهو يبتسم محيياً.

ـ انني بخير. وانت ايضاً بصحة جيدة كما يبدو. اخبرتني زوي انك كنت تعملين في مسرح المدينة في نوتنغهام. كيف كان؟

ـ لا بأس. لقد بدأت دوري دون تمارين مسبقة. كانت مغامرة خطيرة، اضطررت ان اتقمص دور الممثلة الاولى التي مرضت قبل ليلة الافتتاح بيوم واحد. الايام التالية كانت افضل. . . هل رأيت زوي مؤخراً؟

ـ نعم. كنا نتعشى البارحة سوية. (بدا انه مسرور جداً لوجودها) سيمكن يقول انك ترغبين في رؤية فيلكس.

ـ لا. لقد حضرت لزيارة الليدي ولكنها مسافرة في ادنبرة. اقترح علي سيمكن رؤية فيلكس. . . وان كان مشغولاً فلا بأس.

ـ انه ليس مشغولاً. الم تري زوي منذ عودتك؟

ـ بلى رأيتها لدقائق قليلة. لم يتسن لنا الثرثرة بعد.

عبست وهي ترى تعابير وجهه القاتمة وقالت بسرعة:

ـ ما الأمر؟

ـ الم تسمعي بالحادث الذي تعرض له فيلكس؟

ـ اي حادث؟

نظر غاريت الى شحوب وجهها والرعب الذي ارتسم فوق محياها. . .

ـ فرنسيس. يا الهي. اجلسي قبل ان يغمى عليك.

اصبحت رجلاها لا تقويان على حملها وقلبها يسرع في ضرباته وحنجرتها يابسة. ساعدها غاريت في الجلوس على كرسي وناولها بعض الشراب المنعش. وبعد ان شربته بجرعة اكمل قوله:

ـ لا حاجة للخوف يا فرنسيس. لقد زال الخطر عنه الآن.

ـ آسفة يا غاريت. . . ماذا حصل له؟

جلس غاريت قبالتها وهو يشرح لها ما حصل باقتضاب:

ـ كان فيلكس يقود سيارته منذ شهرين واذا به يفاجأ بالبوليس يتبع سيارة لبعض الشبان. تبين فيما بعد انهم اربعة شبان قاموا بكسر وخلع احد المستودعات وسرقته. كانوا خارجين بسرعة ولسوء حظ فيلكس، وجد نفسه في طريقهم. صدموا سيارة اللانسيا ثم انعطفوا ودخلوا الى احد المحلات. قتل اثنان منهم على الفور ونقل الآخرون الى المستشفى للمعالجة.

ـ ما افظع ذلك. (بدأت ترتجف خوفاً) وماذا حصل لفيلكس؟

تناول غاريت كأسها من يدها وهو يتظاهر بانه لا يفهم سبباً لارتباكها وحالتها النفسية.

ـ لحسن حظه اصيب ببعض الجروح البسيطة والرضوض السطحية. هناك جرح عميق في جبهته وضلع مكسور في قفصه الصدري. ولكن ما ازعجنا كثيراً هو ان قطعة زجاجية صغيرة وجدت طريقها الى عينه اليمنى، وادخل غرفة العمليات في قسم الطوارىء على الفور. تملكنا الخوف من ان تكون الزجاجة قد دخلت الشبكة البصرية ولكننا تيقنا فيما بعد انها عرضية. لقد كابدت والدته الكثير من الخوف والحزن. انها امرأة قوية مرنة والآن بعد ان تماثل فيلكس للشفاء وزال الخطر عنه، استطعنا اقناعها بالسفر للبقاء مع جاسيكا لفترة قصيرة (مشى غاريت الى النافذة) هل سترينه يا فرنسيس؟

ـ لا اعتقد انه يريد. . . ان ازعجه.

استدار غاريت بسرعة وهو يتفحصها بعينيه القاسيتين.

ـ ولكنه يعرف ان احداً قد حضر. . . وسيسأل. . . من حضر؟

وضعت فرنسيس رأسها بين يديها. احاسيسها متوترة ولا تعرف كيف تخفي شعورها عن غاريت. لقد فضحتها مشاعرها الشفافة. بدت مهمومة. لقد انكشفت امامها حقائق حبها له بوضوح، وتحت وطأة الظروف الصعبة أيقنت من صدق مشاعرها نحوه. انها واثقة بأنه لا يبادلها نفس شعورها. لقد اعترف لها بأن ما يجذبه اليها

شيء مادي حسي . يجدها مثيرة ويريدها . انها الجاذبية ليس الا .

ـ هل هو على ما يرام يا غاريت ؟ (فكرة جروحه تؤلمها حسياً) انت واثق مما تقول ، أليس كذلك ؟

ـ حتماً . ومع الوقت سيعود كما كان وأحسن . سيترك الجرح في جبهته أثراً مؤقتاً ولكن نظره سيعود كما كان سليماً .

مشى غاريت اليها . وقفت لتلاقيه . وضع يديه على كتفيها وقال بحنان :

ـ لو كنت اعرف حقيقة شعورك نحوه لأخبرتك القصة بطريقة مختلفة . لم اكن اعلم . . .

ـ ولا انا . لقد برهنت لك عن جنوني . . . (بدأت تبكي متأثرة . فتشت في جيبها عن منديل تمسح به دموعها) لِمَ لَمْ تكتب لي زوي عن الحادثة أو تخبرني ؟

عبس غاريت مفكراً ثم قال :

ـ انا لم أروها الحادث الا بطريقة عفوية . نحن الأطباء نترك هموم مهنتنا خلفنا . ربما زوي لا تعرف حقيقة شعورك نحوه والا لأخبرتك بنفسها . وربما تكون نسيت . . . هل ستزورينه يا فرنسيس ؟ انا متأكد بأنه سيسر لزيارتك .

هزت فرنسيس رأسها غير موافقة وقالت وهي ترتجف :

ـ لقد تقابلنا منذ تسعة أشهر يا غاريت وعلاقتنا كانت متوترة .

ـ ومع ذلك اعتقد ان زيارة فتاة فاتنة مثلك ستجلب السعادة الى قلبه . انه وحيد بعد أن حرم متعة النظر .

حاول ان يثير شفقتها وبدا له ان ترددها قد زال تدريجياً .

ـ حسناً . سأراه ان كنت تعتقد ان زيارتي له ستفيده .

ـ لا يزال يضع ضمادات على عينيه فلا تهتمي لشكلك الدامع . ولكنك ستجدين الرجل الأعمى ، ولو كان عمى مؤقتاً ، شديد الحساسية . ربما صوتك يفضحك . . .

ـ غاريت . . . لن تخبر فيلكس عن شعوري . اقصد ان اقول

لك ان هذا الشعور من طرف واحد . . . وليس متبادلاً . لا اريد ان يعرف بحقيقة شعوري نحوه .

هز رأسه موافقاً ثم فتح لها باباً عبرا منه الى غرفة المكتبة ومنها الى الشرفة الزجاجية .

ـ انتبهي . انه ضجر ويشعر بسأم قاتل . سأتركك وحدك . كنت في طريقي الى الخارج قبل حضورك . (شد على ذراعيها مودعاً) اتمنى لك حظاً سعيداً يا فرنسيس .

دفعها غاريت الى داخل الشرفة الزجاجية وذهب . وجدت نفسها وجهاً لوجه مع فيلكس .

ـ من القادم يا غاريت ؟

كان فيلكس يرتدي بنطلوناً رمادياً وكنزة رقيقة بيضاء وقد تمدد على كرسي طويل . باب الشرفة المؤدي الى الحديقة مفتوح قليلاً ليتسنى لشمس ايار ان تدخل الى الغرفة . هناك صحن من الفاكهة موجود فوق طاولة صغيرة بالقرب منه وعليها راديو ترانزيستور وجريدة ملقاة فوق كرسي قريب منه . ربما كان غاريت يقرأ له الجريدة قبل حضورها .

ـ غاريت ؟

صرخ فيلكس وجلس مستوياً فوق الكرسي . بقيت فرنسيس صامتة وهي ترى الضمادات تخفي قسماً كبيراً من وجهه . وبعد جهد استطاعت ان تتكلم بارتباك :

ـ انا هنا . . . لقد غادر غاريت .

استدار فيلكس بوجهه نحو مصدر الصوت وقد تسمر برهة . ثم استراح في مجلسه وأجاب بصوت هادىء متوازن :

ـ انت . . . اهلاً فرنسيس . لطيف منك ان تفكري بزيارتي .

ـ أهلاً فيلكس .

عليها أن تتجاهل حبها له ورغبتها في أن تركض اليه وترتمي عليه وتشعره بحرارة حنانها ، وتحس بدفء يديه وهو يطويها الى

جوانحه ... نظرت الى شفتيه المبتسمتين .
- كيف حالك الآن يا فيلكس ؟
- كما ترين ... اشكرك .
- لم اكن ... اعرف ... بشأن الحادث ...
- حقيقة ؟
- لقد حضرت لزيارة الليدي ... التقيت غاريت الآن وأخبرني ما حدث .
- خسارة والدتي في رؤيتك هو كسب لي . اذن كنت تجهلين ما حدث .
- نعم . سوف أوبخ زوي لأنها كتمت المعلومات عني ولم تكتب لي .
- لا أظن أن صديقتك توافق على صداقتي معك . اقتربي مني يا فرنسيس فانني لا احتمل الأصوات البعيدة . (مد يده اليها . ترددت فرنسيس قليلاً ثم مشت نحوه ووضعت يدها بين يديه . رفعها الى وجهه وقربها من أنفه) .
- رائحتك لذيذة .
أحست فرنسيس بنبضها يسرع بين كفيه .
- يسرني حضورك . وجودك هنا يؤكد لي انك سامحتني ونسيت جراح الماضي وآلامه . وسأستفيد من هذا الوضع لأحتمي بشفقتك .
- هراء . (ضحكت بصوت مرتفع) . انت تكره الشفقة ولا تحتملها .
- أنت تعرفينني حق المعرفة يا عزيزتي . الحقيقة انني سئم ضجر وأشعر برغبة ملحة في الشجار مع أي انسان ونحن نجيد لعب هذا الدور ببراعة . أليس كذلك ؟ احضري كرسياً واجلسي قريباً مني . هل بامكانك البقاء ؟
- طبعاً ، ولكنني اريد ان تترك يدي لأستطيع ان اجلب كرسياً .

- معك حق . (انتظر أن تجلس ثم أكمل) ما هو لون ثوبك ؟ اريد ان اتخيل شكلك .
- انني ارتدي طقماً صوفياً من اللونين البيج والبني الفاتح ، وقد قصصت شعري قصة عصرية عند المزينة الشهيرة أيلين في نوتنغهام .
- يا الهي . صحيح ؟ هذا يحتاج الى خيال واسع . دعيني ألمسه بيدي .
انحنت فرنسيس وسمحت لأصابعه ان تمر في تموجات شعرها القصير .
- احتاجه قصيراً لأمثل دور الغلام ودور روزالدنا معاً ... انه سهل الترتيب واستطيع أن اجعده بسهولة .
- سأنتظر في حكمي حتى استرد بصري ... ملمسه ناعم . كل شيء حولك يبدو بهيجاً مرحاً . استطيع ان اراك بوضوح في خيالي . (مال في كرسيه ليقترب منها) اخبريني الآن عن عملك ...
مر الوقت سريعاً وهي تسرد له قصصها . وحين غادرت المنزل كانت لا ترى الا فيلكس ولا تسمع الا صوته الحزين الساخر وهو يودعها ... انها حقاً تحبه ، وعليها ان تعترف لنفسها بهذه الحقيقة .

٨ ـ المسافة القصيرة بيننا

وجدت فرنسيس ولحسن حظها وظيفة في شركة اعلانات تلفزيونية مما سهل بقاءها في لندن في الوقت الحاضر . كانت تزور فيلكس كل يوم لتقرأ له الجرائد اليومية وتجلس لتتحدث معه في أدوار مختلفة . ما تقوم به كان خطيراً بالنسبة إلى عواطفها المتأججة وحبها الأكيد له . كانت لا تفكر بعواقب عملها بل تعيش حياتها يوماً بيوم ، وتغتنم من المسرّات ما يقدمه لها القدر شاكرة سعيدة بلحظات هنيئة قربه .

لاحت لها في الأفق فرصة ذهبية للعمل في تمثيلية من تأليف الكاتب توم ستوبارد . ولو حصلت على هذا الدور قبل عودتها الى حياة فيلكس لوجدت نفسها تطير من الفرح وتعيش حلماً يرضي طموحها ومستقبلها في هذه المهنة . ذهبت لاداء تجربة التمثيل متكاسلة ودون أي حماس ، لأنها كانت واثقة بأن فيلكس لا يزال يحتاجها قربه حتى يتماثل تماماً للشفاء .

وبعد عودتها من التجربة وصلت الى الغرفة الزجاجية لتجدها خاوية . رتبت الكتب والجرائد المبعثرة ونظرت الى الحديقة لتجد فيلكس منفرداً يجلس وظهره اليها . مشت نحوه وشعرت بقلبها يقفز من مكانه . عندما رأت انه انتزع الضمادات عن عينيه ايقنت ان حاجته اليها قد انتفت . ولكنها ابتسمت ابتسامة مصطنعة وقالت :

ـ اهلاً يا فيلكس . الحمدلله انك نزعت الضمادات . (حدقت

به فزعة وهي ترى آثار الجرح على جبهته بوضوح . أحست بحشرجة في حنجرتها . لقد نبهها غاريت الى هذا الأمر ولكنها لم تكن تتخيل الحقيقة على هذا النحو . تنفست نفساً عميقاً في محاولة يائسة لاخفاء صدمتها) ما هو شعورك الآن وأنت ترى بعينيك من جديد ؟ هل هناك ما يضايقك؟

ـ أهلاً يا فرنسيس . بعد أن ازحت الضمادات وجب علي أن اجلس تحت اشعة الشمس وقتاً أطول . (قدم لها كرسياً لتجلس قربه) هذه هي أوامر الطبيب . (نظر الى وجهها المضطرب واكمل) مسكينة يا فتاتي ! ألم يخبرك غاريت بشكلي الجديد ؟ (ابتسم هازئاً) لا الومك ان اشحت بوجهك عني . . .

ـ لا تكن سخيفاً . لن تحظى بشفقتي ابداً . (نظرت الى وجهه متفحصة . كان يرتدي نظارات سوداء ولكنها لا تخفي اثر الجراح في جبهته) أوافقك ان منظرك غير مألوف ، ولكن الندبة ستختفي مع الأيام . والحقيقة انها تعزز وسامتك وتضفي عليك جاذبية بدلاً من ان تفسد شكلك .

ـ صحيح ؟

ـ نعم . هناك نظرة استهتار ماكرة مما يساعد في اجتذاب الجنس اللطيف اليك .

ضحك ضحكة عابثة :

ـ يا الهي . انت فتاة ذكية ودبلوماسية يا فرنسيس . . .

ـ وماذا تقصد ؟

ـ انت تكذبين . (عبس قليلاً ثم سألها) اين كنت البارحة ؟

شعرت بفرح يغمرها وهي تسمعه يفتقدها

ـ ذهبت افتش عن رزقي في وظيفة جديدة . . . علي ان اكسب قوتي بعرق جبيني (اشارت الى النظارات واكملت) هل يعني ذلك ان باستطاعتك ان تقرأ لنفسك من الآن فصاعداً ؟

ـ لا . لا يمكنك التهرب من واجباتك اليومية بهذه السهولة .

- هل احضر الجريدة ؟
أمسك بيدها قبل أن تغادر الحديقة :
- بل ابقي لنتكلم . (شدها بلطف وضغط بيده على ذراعها) حاولت ان تفلت من قبضته عبثاً . احمرت قليلاً وقالت متسائلة :
- عمّ نتكلم ؟
- انني افضل رؤيتك بعيني على تخيلك بالقرب مني . . .
حبست نفسها . لقد عاد فيلكس الى سابق عهده . عاد ساخراً ماكراً وأكثر خطراً .
- هل انتهيت من العلاج ؟
- لا . لسوء الحظ . علي القيام ببعض التحاليل قبل أن أطير الى الشمس .
- ستسافر ؟ ستطير بعيداً ؟
هز رأسه موافقاً وابتسم ابتسامة ساخرة .
- هل ستشتاقين الى وجودي يا فرنسيس ؟
- نعم . بالتأكيد .
كان يداعب باطن يدها بأصابعه مما جعلها تتململ تحت لمسته المثيرة .
- وأنا أيضاً سأشتاق اليك . (لم تجب) علي أن استريح بعيداً وفي مكان مشمس بعض الوقت بناء على نصيحة صديقي الطبيب (تنهد آسفاً) كأنني لم استرح بما فيه الكفاية خلال فترة المعالجة الطويلة .
- والى أين ستذهب ؟
- لم أفكر بعد بالمكان الذي سأقصده . هل لديك اقتراح ؟
نظرت فرنسيس بعيداً وهي تفكر . . . ثم أجابته وهي ساهمة ؟
- قيل لي أن جزيرة كورفو مكان مناسب .
- كورفو ؟ (نظر فيلكس يحدق بها مستغرباً) نعم انها جزيرة الأحلام وجنة حقيقية . . . إن قبلت مرافقتي سأذهب اليها .
- تذهب الى كورفو . . .

حدقت فيه وتمنت لو ترى نظراته الحقيقية من خلف النظارات السوداء لتعرف ما يدور في خلده . . . زاد عبوسه قليلاً .
- لقد أقنعتني بالفكرة وحق السماء . (ابتعد عنها ومشى الى سور الحديقة وقال وهو يحدق بالأرض) هل تعرفين انك تقومين بصفقة خاسرة ؟
- أعرف . افهم قواعد هذه اللعبة الخطيرة يا فيلكس .
- ولكنني لست واثقاً مما تقولين . لماذا غيرت رأيك بهذا الموضوع يا فرنسيس ؟
- هذا امتياز تتمتع به المرأة في كل العصور . هذا الحق مقصور عليها .
- ولكنك كنت متحمسة جداً لتفاصيل الأسباب التي رفضت من أجلها مرافقتي الى الجزيرة سابقاً .
- كان ذلك منذ سنة تقريباً . . . قررت أن أقتل الشعور بالذنب . (انتظرت ابتسامته الراضية ولكنه احتفظ بنظراته القاسية . . . أحست ببعض البرودة في أوصالها) هل جاء قبولي متأخراً ؟ هل هناك فتاة أخرى تحتل مكاني ؟
- لا . لا اود مرافقة غيرك . . .
- ما الأمر اذن يا فيلكس ؟
- اريدك أن تتأكدي مما انت مقبلة عليه . لا اريدك أن تندمي على قرارك أو تبدلي رأيك ونحن بعيدان عن لندن . . .
- ما أسخفك ! وهل تنتظر ان اتصرف على هذا النحو ؟
- لا . لا اعتقد ذلك !
- ولماذا ترددك ؟ يا الهي . لا يطلب مني هذا الطلب الا نادراً . . .
الجدال بينهما ليس في صالحها . انها لا تملك الخبرة الضرورية في مثل هذه الامور . كونها تتخلى عن فضائلها وهي في السادسة والعشرين من عمرها . . . من اجل حلم بدلاً من أن تتخلى عنها من

أجل حياة سعيدة وارتباط أبدي . . . . هل يقتنص هذه الفرصة من اجل متعة أسابيع قليلة يمضيها تحت اشعة الشمس برفقتها ؟

ـ فيلكس ! اننا نتجادل من جديد .

هز رأسه غير موافق :

ـ علينا ان نوضح كل الامور منذ البداية . انت تعرفين سبب رغبتي في مرافقتك . ومن العدل أن أعرف أسبابك أيضاً . شخصياً انا لا استهين بهذه العلاقة أبداً ، وربما انت ايضاً لا تستهينين بها ؟

ـ وأنا لا استهين بها . (كان عليها ان تعرف انه ليس من السهولة ان يقبل بتغيير رأيها دون ان يفتش عن حقيقة الأمر ، ولذلك حاولت ان تبقى أقرب ما يمكنها من الحقيقة . تنفست عميقاً ووضعت يدها على خده بحنان وأكملت) كما ترى ، شعوري نحوك لا يزال على ما هو منذ سنة . . . لذلك ترى ان اسبابي هي نفس اسبابك . تجاهلت في البداية نداء العاطفة ولكنني اكتشفت انه يجري في دمي مجرى الحياة في كياني . والعمر قصير . . . سأرافقك وسنعطي فرصة لعواطفنا كي تتبلور .

بقي فيلكس صامتاً يفكر قبل أن يجيب .

ـ اقبل بأسبابك يا فرنسيس . . . (جلس في مقعده جلسة رزينة جادة وأكمل) علينا أن نباشر في تجديد جواز السفر . وماذا عن ارتباطك في العمل ؟

ـ لا أعمل حالياً . غالباً ما اتقدم لاداء التجربة وأفشل . . .

ـ انت مبدئياً لست مرتبطة بأي عمل .

هزت رأسها موافقة .

ـ انني مرتبطة بك فقط يا فيلكس .

ـ وهل هناك أي شخص قد يعارض قرارك ؟

هزت رأسها نفياً مع انها كانت تعرف ان صديقتها زوي تعارض .

ـ انني وحيدة في هذه الحياة ولا التزام لي الا بالقرارات التي

اريدها .

مر بيده على خصلة شعر كانت قريبة من خدها وقال بحنان :

ـ لن اجعلك تندمين على هذا القرار يا فرنسيس . (مال اليها وعانقها عناقاً مليئاً بالوعود) لقد ختمنا اتفاقنا بهذا . غداً سأعود الى شقتي ولدي بعض الأعمال المتأخرة في الاستوديو . سأنهيها بسرعة . وكذلك سنكمل في دائرة البوليس بعض التقارير حول الحادث المشؤوم . . . حالما انتهي من كل هذه الأمور سأتصل بك هاتفياً وأحدد لك موعد سفرنا .

ـ سأكون جاهزة .

ـ هل انت متأكدة يا فرنسيس ؟

ـ نعم . انني متأكدة .

استلقت فرنسيس في ظل صخرة على شاطىء جزيرة كورفو وقد ألقت بكتاب قربها . البحر الأزرق الصافي أمامها وبعض أشجار الصنوبر والسرو خلفها فوق التلة القريبة من النزل الصغير استراكيري .

تذكرت فرنسيس نفسها وهي تركب طائرة بريطانية وتقترب من مجموعة الجزر اليونانية في البحر الأبيض المتوسط . الجزر تشبه كواكب مشعة وقعت من السماء البعيدة . من السهل التعرف على جزيرة كورفو الواقعة في أقصى الشمال ، وهي مكتظة بأشجار الزيتون والسهول الخضراء ويرتفع فيها جبل بنتوكرادو قرب المطار .

نهضت فرنسيس من جلستهاالهادئة على الشاطىء وجمعت اغراضها . الرمال حارة تكاد تحرق قدميها . انحنت وبسرعة لبست صندلها واخذت تمشي . المكان شاعري والرائحة حولها خليط من أريج زهر الليمون والزيتون والصنوبر والسرو . الألوان متداخلة ببعضها والورود تنمو بارتفاع يفوق ما اعتادت أن تراه . البيئة خلابة ساحرة ، وهكذا كان يفترض في هذه العطلة الرومانسية . جلست في بقعة ظليلةتعيد في ذاكرتها ما حدث في الأيام السابقة .

لقد رضيت بالتخلي عن مبادئها وها هي تنتظر يائسة للحصول على النتيجة . . . لقد انكمش فيلكس على نفسه ولم يتعدَّ في معاملتها أصول المجاملة . ربما هو الخجل الذي أبعده عنها ، ولكنه يتصرف معهابتحفظ لاتفسير له .

عند وصولهما الى الجزيرة استقبلهما صديقه سبيرو ستيفانيدس ورحب بهما أشد الترحيب وساعدهما في المعاملات ، ثم قادهما في سيارته السوداء المغبرة الى النزل الذي كان قد حجز لهما فيه غرفتين منفصلتين .

يملك النزل كل من جوزيف وصوفيا . رحبا بهما وأبديا مودة خاصة لفيلكس . النزل صغير ولكنه مريح . يحتوي على ثلاث غرف للضيوف وتحتل فرنسيس وفيلكس اثنتين منها . ربما ترك لها حريتهافي غرفة منفصلة كي لا يربك شعورها أمام أصدقائه ، ولكنه أبقى على الحواجز والكلفة بينهما منذ وصولهما .

امضيا يومين يتنزهان في الجزيرة كأي سائحين . تمددا بكسل واسترخاء على الشاطىء وسبحا في البحر ثم اخذها في نزهة بحرية على متن مركب جوزيف في مياه الخليج الهادىء . شاهدا سراطين وقنافذ البحر والنباتات البحرية العديدة . وكذلك تنزها في سيارة سبيرو داخل الجزيرة وشاهدا الصبايا الحسان يركبن الحمير وهن في طريقهن الى العمل في الحقول . وسمعا الراعي يصفر لقطيعه ليجمعه وقت المساء . كان للجزيرة سحرها الخاص ، وتمتعت فرنسيس بالحياة البسيطة السهلة .

في المساء تركت فيلكس يسهر مع جوزيف وبعض النزلاء . لاحظت ان السيدات لا يجالسن الرجال في سهراتهم . صعدت الى غرفتها ترتاح وبقي فيلكس يشارك سكان الجزيرة طعامهم وشرابهم بحماس . . . استغربت اين ذهبت وعوده لها برحلة رومانسية حالمة ، وقررت أن تستفسر منه بصراحة . ولكنها فوجئت بحضور صديقه ثيودور الكسياكس من اثينا الذي استطاع ان يقنعه بالمجيء

الى هنا بحجة قضاء بعض الأعمال .

تذكرت انها خرجت برفقة فيلكس بعد العشاء الى الشاطىء وقررا أن يسبحا . نزلا الى المياه الدافئة والعالم الأخضر تحت سطح الماء . خرجا وتمددا على الرمال يرتاحان .

استلقت فرنسيس على ظهرها فوق الرمال واستدارت لترى وجه فيلكس في ضوء القمر . كان مغمض العينين . مدت يدها الى جبهته تبعد خصلة شعر وسألته :

- هل لا زالت جراحك تؤلمك ؟

- لا . ابداً .

- يسرني ذلك . تبدو على أحسن حال .

مالت بسرعة عفوية فوق جرحه . فتحفيلكس ذراعيه وعانقها . انه أول عناق منذ وصلا الى الجزيرة . كان مشحوناً بعواطف قوية .

وقف بسرعة وانحنى فوقها وأوقفها على رجليها بسهولة . وضع ذراعيه حول كتفيها ومشيا فوق الرمال عائدين الى النزل . مرت سيارة سبيرو بهما وتوقف يتكلم باليونانية مع فيلكس . انزعجت فرنسيس وقالت بنزق :

- وماذا يريد سبيرو منك الآن ؟

- لقد حضر ليحملني الى المطار . سأطير الى اثينا بعد ساعتين .

توقفت فرنسيس عن المشي ونظرت اليه نظرة لا مبالاة :

- ماذا ؟

- لدي موعد عمل في اثينا مع صديقي ثيودور الكسياكس لا يمكن تأجيله . (وقبل أن تعترض جذبها اليه ثم دفعها الى داخل النزل وقال باقتضاب) احتاج الى يوم واحد فقط .

كانت لا تزال تتذكر ما حل لها منذ وصلت الى الجزيرة . انها تعيش احلامها منفردة . . . كانت تتمنى لو يحتفظ ثيودور بمسائل العمل لنفسه ولا يشرك فيلكس بها . كان سبيرو يحرسها كالكلب

الأمين ، وكذلك جوزيف وصوفيا يسهران على راحتها التامة خلال وجودها في النزل . لقد طالت غيبة فيلكس واستغرقت يومين بدل اليوم الواحد .

قدمت لها صوفيا بعض الشراب المثلج وشكرتها فرنسيس ثم سألت :

ـ هل عاد السيد فيلكس ؟

ـ لا . ولكنه سيعود قريباً . العشاء جاهز .

تناولت فرنسيس عشاءها منفردة في الحديقة ... وضعها مؤسف . ومع ان الطعام والشراب كانا جيدين ، الا انها كانت تعيسة وهي تنتظر وصول سيارة سبيرو تحمل فيلكس عائداً من أثينا .

وفي صباح اليوم التالي نزلت فرنسيس الى البحر باكراً . وبعد ان سبحت قليلا شاهدت سيارة سبيرو السوداء أمام النزل . ركضت بحماسة وصعدت السلالم لتجد فيلكس يقف في غرفته . لا بد انه رآها تهرع اليه ...

ـ صباح الخير يا آنسة هارون .

حلق في جسمها الذهبي ووجهها الطافح بالبشر والسعادة لعودته .

شعرت ببعض الارتباك وهي تحس نظراته المثيرة العابثة :

ـ صباح الخير يا سيد رافنسكار . (كان صوتها يرتجف وهي تكمل) هل تناولت طعام الفطور ؟

ـ لا . كنت انتظر عودتك من الشاطىء . لقد أعدّت صوفيا لنا الطعام في الحديقة . (نظر الى شعرها المبتل والقى اليها بمنشفة) انني جائع ... هل عليك أن تبدلي ثيابك الآن ؟

ـ لا لزوم . لقد جفّت تقريباً ... ثم ان لباسي محتشم ، أليس كذلك ؟

تبعها الى أسفل السلالم وهو يمتع نظره برؤيتها . احضرت صوفيا

سمكاً مشوياً وطعاماً دسماً وفاكهة ثم اختفت لتجلب لهما القهوة .

ـ ما هذا كله ؟

ـ اليوم عطلة . انه [illegible] العديدة في الجزيرة ...

سبيريدون [illegible] جزيرة كورفو . الجزيرة تعيّد بأكملها في هذه المناسبة . تقام الاحتفالات في الشوارع وتنظم الاستعراضات الجميلة . الرقص والموسيقى والطعام والشراب ...

ـ انني احب الاحتفالات .

كانت فرنسيس تأكل بطيخاً بينما تصب صوفيا لهما القهوة . حضر سبيرو مسرعاً وحمل قبعته بيده وابتسم لفرنسيس معتذراً ثم تكلم باليونانية مع فيلكس ... وبعد ذلك انحنى لهما مودعاً وسمعت فرنسيس صوت سيارته تبتعد بسرعة .

ـ ما الأمر ؟

ـ أملك فيلا صغيرة بالقرب من هنا ، وقد طلبت من سبيرو تصليح بعض المرافق فيها ... ومنذ ثلاثة اسابيع وهو يتابع التصليحات التي انتهت اخيراً . انه مسرور لاعلامي انه بامكاننا ان ننتقل الى الفيلا في الغد .

شعرت فرنسيس بالدماء الحارة تكسو وجهها ولم تستطع ان تنظر اليه .

ـ لم أكن أعرف انك تملك منزلاً هنا . منذ متى تملكه ؟

ـ منذ خمس سنوات . ماريا شقيقة صوفيا تحضر يومياً للتنظيف والطبخ . انه مكان ممتاز لتمضية العطلة .

ـ هل يبعد عن نزل استراكيري ؟

ـ لا . لا يبعد اكثر من كيلومتر واحد . ما الأمر يا فرنسيس ؟ هل جرحت رجلك ؟ انت تعرجين !

ـ احس بشوكة انغرست في جلدي .

ـ دعيني أراها . (دخل غرفته يفتش عن صندوق الاسعافات الأولية) لا يمكنك تجاهل امر مهم كهذا .

تبعته فرنسيس الى غرفته ومدت له رجلهاليعالجها .

ـ شوكة من ابر الصنوبر . (سحبها بملقط صغير ثم نظف مكان الجرح وطهره ولفه ببعض القماش المعقم .) هل هذا أفضل ؟

ـ اشكرك . (وقفت تضع ثقلها على رجلها . ثم رفعت نظرها الى وجهه وقالت بشجاعة لم تعهدها في نفسها من قبل) لقد اشتقت اليك . . . احبك .

انتظرت ردة فعله على اعترافاتها الجريئة . فكرت في نفسها : ربما غيّر فكره ولم تعد تجذبه . . . هل ضجر منها ؟

موقفه يزعجها وهي تستغرب تصرفاته . خافت كثيراً وبدا خوفها جلياً . كان فيلكس يراقبها وهو يفكر . عانقها بلطف وتمسكت فرنسيس بقميصه فاذا بيديها تحسان ضربات قلبه المسرعة . نظرت اليه صامتة كأنها تقول له : احبك كثيراً يا فيلكس . . . وبداكأنه قرأ قولها بعينيه . واذا بالباب يقرع قرعا متواصلا ، وسمعت بعض الكلمات اليونانية تصل الى مسمعها . . . رفع فيلكس راسه وأجاب الطارق ببعض الكلمات . فشعرت به ينسحب عن الباب ويعود أدراجه .

اغلقت فرنسيس عينيها وهي لا تعرف أتضحك أم تبكي من هذا الموقف المحرج . . .

ـ ماذا تريد منك صوفيا ؟

ـ قالت ان الباص الذي سيحملنا الى كورفو لنحتفل بالعيد سيمر علينا بعد ربع ساعة . وقلت لها اننا سنكون جاهزين .

ـ بالطبع . (حاولت ان تحتفظ بكبريائها) علينا ان نشارك في احتفالات سبريدون . ليس لدينا أي شيء آخر نفعله . . .

ـ ما من شيء لا يمكن تأجيله الى زمان ومكان اكثر ملائمة . قالت صوفيا انها جلبت لك ثوب فلاحة يونانية ووضعته على سريرك في غرفتك وهي تتمنى ان تلبسيه . جميع النساء سيرتدين الأثواب الفولكلورية للاحتفال بالعيد .

دفعها بلطف أمامه وقادها الى غرفتها لترى الثوب .

ـ انه ثوب جميل للغاية . (الثوب حريري أخضر اللون على بتطريز يدوي فني وشرائط ملونة ، وفوقه مريلة بيضاء من الموسلين الأبيض) انه ثوب جديد . هل تريدني ان ارتديه ؟

ـ طبعاً . ربما هو لاحدى بناتها . هل تريدين اية مساعدة في شبك الأزرار ؟ (مشى خارجاً من غرفتها ثم التفت اليها فجأة وقال) فرنسيس هل لي ان اسالك سؤالاً ؟

ـ بكل تأكيد .

ـ كانت الحقيقة مفقودة دائماً في علاقتنا منذ أول لقاء بيننا . . . واتمنى اليوم ان اسمع جواباً صحيحاً على سؤالي : لماذا رفضت دور البطولة في رواية توم ستوبارد ؟

حدقت به فزعة ثم بلعت ريقها بصعوبة وقالت :

ـ وكيف عرفت ؟

ـ لأن الدور اعطي لك بناء على توصيتي . . .

ـ فهمت . كان علي ان اختار بين بقائي معك وبين دور البطولة في الرواية وفضلت رفقتك الى كورفو .

ـ . . . في وقت آخر ومكان آخر .

وجدت فرنسيس نفسها تجلس في الباص العتيق وقد امتلأ بالناس والحيوانات وسلال الطعام والفاكهة والخضار . جميعهم في ثياب العيد يضحكون ويصرخون ويثرثرون . كان السائق يطلق لزموره العنان عند كل منعطف في الطريق الجبلية المتعرجة . لم تعد فرنسيس تهتم بسلامة الوصول لأن احداً من الموجودين معها لا يبالي . جلست بين ماريا وشقيقتها صوفيا اللتين واصلتا الثرثرة باستمرار . وفهمت من كلامهما انهما يتكلمان عنها ، هي الفتاة الانكليزية وعن فيلكس . . . ولكنها لم تفهم فحوى الحديث . كان من معها في الباص يفهم ويضحك ما عداها . وجدت نفسها تتسلى بالنظر الى وجه فيلكس الذي كان يجلس على المقعد المقابل ويفصل بينهما قفص

الحمام الذي وضع في الممر الضيق بين المقاعد ، حيث الهديل يختلط بالضحكات والصرخات .

كان فيلكس يبتسم لها ابتسامة اصيلة وسرها انه عرف سرها بعد ان باحت له بحبها . انها سعيدة لأنه عرف حقيقة مشاعرها نحوه ، ولا تحتاج ان تتظاهر بغير ذلك من الآن فصاعداً .

فيلكس وسيم للغاية في ثياب العيد البيضاء ، وقد لف حول عنقه منديلاً ملوناً . كل شيء حولها غير حقيقي . . . شكلها غريب في ثوبها الفلكلوري الملون . تكلم فيلكس معها . ابتسمت له وهزت رأسها . . . رفع حاجبيه بعد ان تأكد له انها لم تسمع ما قاله لها .

انحنى فوق قفص الحمام وصرخ بصوت مرتفع :

ـ فرنسيس ، هل تتزوجينني ؟ (بدأت صوفيا تضحك وتترجم ما قاله الى اليونانية . تحولت انظار من في الباص اليها . نظر اليها فيلكس ينتظر جوابها وأكمل) احبك كثيراً .

صمتت فرنسيس تفكر . هذا هو فيلكس المخرج يصطحب فتاة الى رحلة مشبوهة ويتقدم يطلب يدها وسط باص مزدحم بالناس . انه جريء ولكن حبه واضح في عينيه . . .

هزت صوفيا وماريا وجميع من في الباص رؤوسهم موافقين قبلها . كان سائق الباص ينتظر جوابها . . . والجميع يعلم انها ستوافق .

أمسك فيلكس بيدها وكرر سؤاله :

ـ ما هو جوابك ؟

ـ يسعدني ان اوافق . . . وأنا احبك أيضاً يا فيلكس حباً عظيماً .

قامت صوفيا بترجمة جوابها الى ركاب الباص . . . وهاج الركاب مهللين فرحين ، ثم توقف الباص فجأة واهتزت الحيوانات بداخله ومال الناس فوق بعضهم . شعرت فرنسيس ببعض الخجل وهي تسمح لفيلكس بأن يحملها بين ذراعيه وينزلها من الباص . . . وكان أول شخص رأته هو سبيرو . كان يضحك مرحاً وقد ارتدى ثياب

العيد . . . ثم رأت صديقتها زوي وغاريت . كانت زوي ترتدي ثوباً يشبه ثوبها تماماً .

ركضت زوي وعانقتها محية بينما امسك غاريت بفيلكس وشده اليه مرحباً . قال سبيرو مفاخراً :

ـ لقد وصلنا من المطار في الوقت المناسب .

قالت فرنسيس :

ـ زوي . . . وغاريت . انا لا اصدق !

قادها فيلكس بعد ذلك بلطف لتقابل صديقه ثيودور :

ـ فرنسيس هذا صديقي العزيز ثيودور .

شد ثيودور على يدها وهزها بعنف قائلاً :

ـ يسعدني أن اقابل خطيبة فيلكس . اتمنى لكما السعادة والهناء .

بدأت الصورة تتضح امامها وهي في طريقها الى مكتب نائب القنصل الانكليزي في الجزيرة . ان فيلكس رجل مجنون . . . فتشت عنه واذا به ينظر اليها مبتسماً ابتسامة ودية . اعطتها صوفيا باقة من الورود الملونة وربطت لها شرائط ثوبها . سألتها :

ـ صوفيا . . . هل صحيح ان اليوم يوم عيد في الجزيرة ؟

ضحكت صوفيا وهزت رأسها موافقة وقالت :

ـ نعم يا آنسة . قريباً يبدأ الطعام والشراب والموسيقى والرقص في كل مكان .

حضر ثيودور وأمسك بيدها قائلاً :

ـ لي الشرف ان اقدمك يا عروسة الى عريسك صديقي العزيز فيلكس . . .

قادها الى الغرفة المجاورة ومشت زوي وراءها مع غاريت .

وقفت فرنسيس بالقرب من فيلكس والسعادة تملأ كيانها . . .

وبعد ان تمت مراسيم الزواج خرجت الى الشمس وهي ترتدي في اصبعها خاتم الزواج . . . كأنها تعيش حلماً بهيجاً . لقد أصبحت الآن السيدة فرنسيس رافنسكار .

الاحتفالات في كل مكان في الجزيرة ... وحان وقت ذهاب زوي وغاريت الى المطار من اجل رحلة العودة الى لندن .

قالت زوي مازحة :

ـ هل حلمت أن حفلة زفافك ستكون بهذه الطرافة ؟لا استطيع ان اصف لك مبلغ سروري . اتمنى لك حظاً سعيداً (مدت لها يدها لتريها خاتم الخطوبة في يدها) كما أتمناه لنفسي .

ـ لقد تمت خطوبتك ... انا سعيدة من أجلك . (عانقتها بحرارةثم استدارت لتتقبل تهاني غاريت وتبارك له بخطوبته) غاريت ، انا سعيدة جداً من أجلكما .

ـ شكراً يا فرنسيس . (نظر غاريت الى زوي بمحبة) هيا يا حبيبتي لقد حان موعد إقلاع الطائرة .

كانت العودة الى استراكيري بسيارة سبيرو . جلست فرنسيس بين ذراعي فيلكس سعيدة هانئة . سألته بدلال :

ـ كم ستدوم هذه الاحتفالات ؟

ـ يومين ...

بقي العازفون يعزفون الموسيقى في الشوارع العامة للراقصين والمحتفلين بالعيد الى وقت متأخر .

قالت فرنسيس حالمة :

ـ كأنني امثل فيلماً تلفزيونياً ... (ثم أضافت) سرني التعرف الى صديقك ثيودور . انه لطيف .

هز فيلكس رأسه موافقاً ثم شدها الى صدره أكثر وقال :

ـ يتوجب علينا أن نشكر ثيودور لأنه تولّى أمر المعاملات الخاصة بالزواج ... والطعام الشهي من اللحم المشوي والشراب الوطني للجميع ...

ـ فيلكس ، الى أين سنذهب الآن ؟

ـ الى بيتنا .

بدأ سبيرو ينشد أغنية عاطفية بصوته الجميل .. اوقف سيارته أمام

المنزل وانحنى مودعاً ، وتمنى لهما السعادة والبنين .

دخل فيلكس الى المنزل بعد أن أشعل النور وقال بسرور :

ـ هذه هي غرفة الجلوس ... لقد رتبتها صوفيا (عانقها وهو يقودها في أرجاء البيت الداخلية قائلاً :) ، المطبخ وغرفة الاستقبال وغرفة النوم ... والحمام ... أهل الجزيرة يعتقدون ان لا حاجة للحمام لأن البحر قريب جداً .

ـ وهل نحن بالقرب من الشاطىء ؟

ـ تنتهي الحديقة عند بعض الصخور . هناك ممر ضيق يصلنا بالشاطىء والسباحة آمنة .

ألقت فرنسيس نظرة عبر النافذة الى القمر وهو يضيء سطح البحر الهادىء .

ـ فيلكس ! تعال وانظر الى هذا المنظر الرائع ...

ـ نعم ... (كان ينظر اليها) انه أجمل ما رأيت .

لهجته الماكرة جعلتها تنظر اليه وقد غمرها بحبه وحنانه ... ثم قالت باستحياء :

ـ هل تسمح لي باستعمال الحمام ؟ اشعر انني وسخة من كثرة الغبار ...

فتح لها الحمام بسرعة وقال ضاحكاً :

ـ بكل تأكيد . تفضلي .

انتهت من حمامها بسرعة وعادت نظيفة ترتدي غلالة نوم بيضاء .

دخلت غرفة النوم ولكنها لم تجد فيلكس . مشت الى النافذة وشاهدته يتقدم الى المنزل قادماً من الحديقة وقد لف منشفته حول عنقه ، شعره لا يزال مبتلاً وهو يرتدي روب الحمام الأزرق .

ـ هل كنت تسبح في البحر ؟

هز رأسه نفياً .

ـ كنت استعمل دوشاً بدائياً ... توجد في الحديقة بئر ماء بارد . جلبت سطلاً واغتسلت به . الماء البارد منعش للغاية .

ضحكت فرنسيس بسرور وهي تراه يلفها بذراعيه وغمزت له قائلة :

ـ هل هذا هو الزمان والمكان المناسبان ؟

ـ نعم . انت عفريتة صغيرة . لقد انتصرت علي . (ضحك وهو يتذكر) اراك تجلسين على كرسي في الحديقة في منزل والدتي وانت تقترحين علي بهدوء أن آخذك معي الى كورفو . شعرت بخوف عظيم . . .

ـ لماذا ؟

ـ سأقول لك يا حبيبتي . . . أردت أن انبهك لئلا ترمي بنفسك على رجل مثلي . . . ولكنني اختنقت ولم استطع الكلام . كيف اقترحت عليك السفر معي منذ البداية ؟ لا أعرف . لم افهم أسباب دعوتي لك في حينه . . .

ـ ولكنك جفوتني وكأنك لم تعد راغباً بي .

بدأت تداعب شعره وتزيد دلالها عليه .

ـ كنت اريدك حتماً . . . ولكنني لم ارغب في رابطة زوجية عدت يوم الغداء اللعين وانا اشعر بخيبة أمل مريرة . عرفت يومها انني افسدت كل شيء وفشلت في الاعتذار منك . . . شعرت انك بعيدة عني كثيراً . لم اشعر بدفئك ولا كرمك اللذين اعتدتهما . . . جننت . وقلت في نفسي مراراً وتكراراً : لقد أضعت فرصة العمر . . . بعد ان وجدت المرأة التي تحب والتي تستطيع ان تعيش معها بقية العمر . . . افسدت بيدك كل شيء .

ـ حتى عندما كنت اكرهك لم استطع التوقف عن حبك . بامكانك ان تسأل غاريت لأنه شاهد بنفسه ردة الفعل حين علمت بالحادث المشؤوم . . . (توقفت عن الكلام ونظرت في عينيه) متى عرفت انني احبك ؟ لقد حاولت جاهدة ان اخفي حقيقة شعوري عنك .

ـ هي سلسلة من الأحداث المترابطة والمختلطة . حين رفضت دور

البطولة في رواية توم ستوبارد بدأت أسأل نفسي : لماذا غضبت أشد الغضب حين نعتك بصفات كريهة لو لم تكوني مهتمة برأيي فيك ؟ وكان بامكانك ان تسألي نفسك هذا السؤال : لماذا كنت في أشد حالات الغضب ؟ لأنني كنت احبك وأغار عليك . ولقد اعترفت لغاريت بحقيقة شعوري نحوك وشكوكي بحقيقة شعورك نحوي ، فأكد لي ما يعرفه عن مشاعرك الحقيقية . . .

ـ ولكنه وعدني بأن يكتم عنك الحقيقة .

ـ ولكنه وجد ان صحة مريضه تحتاج لهذا الاعتراف خوفاً عليه من أن يموت . . . من وجع القلب .

ـ هراء . . . انت لا يمكنك ان تبوح بحقيقة شعورك لأحد . انت مغرور ومتكبر . هيا اعترف لي انك كنت ستقوم باخراج رواية توم ستوبارد لولا الحادث (كان يضحك موافقاً على كشفها هذه الحقيقة) كنت ستعود لملاحقتي بسحرك وجاذبيتك من جديد ، وكنت ستنجح حتماً في اصطيادي .

شعرت بضربات قلبه تسرع اكثر . . . وقلبها يخفق متناسقاً معه ، تتطلع اليه كأنها مسحورة تعيش حلماً من الصعب تصديقه . . . لقد فجرت حياته بالحب ، وأفلتت جميع أحاسيسه من عقالها .

رفع حاجبيه ساخراً عابثاً وقال :

ـ ان كنت تعيشين حلماً وردياً فأنا أيضاً أعيش أجمل حلم ما دمنا سنستيقظ من حلمنا سوية . . . هذا كل ما يهمني الآن . والدتي تعيش معنا حلمنا وقد ارسلت لك رسالة تتمنى لنا السعادة وتبارك لنا بحياتنا الجديدة .

ـ صحيح يا فيلكس ؟ هل هي حزينة لأنها لم تتمكن من حضور حفلة الزفاف ؟

ـ لا تستطيع الطيران بسبب صحتها . . . وتفضل زواجنا دون ضجة . انها مقتنعة كل الاقتناع بأن الزواج تم بناء على تدبيرها .

ـ وهل تم زواجنا دون ضجة ؟ هل وصول زوي وغاريث من لندن أمر بسيط ؟ هل طلبك يدي للزواج في باص مكتظ بالناس أمر فيه تكتم ؟ ثم انك كنت تعذبني بيعدك عني دون تفسير ، مما كان سيسبب لي انهياراً عصبياً لو دام مدة أطول . بدأت اعتقد انك لم تعد تريدني . . .

ـ انت حبيبتي . كنت تعرفين حق المعرفة رغبتي في الحصول عليك . . . ولكنك تسببت لي في مشاكل عديدة منذ أول لقاء بيننا ، يوم علقنا في المصعد .

ـ أتذكر . يومها نظرت الى المسافة القصيرة التي تفصلنا وقلت في نفسي انه رجل وسيم وجذاب وخطير .

ـ اما انا فقد نظرت اليك وقلت في نفسي : انها فتاة جميلة وفاتنة . وازداد اهتمامي بك حين التقينا مراراً . كنت أجد نفسي أقاوم اغراءك . . . إبتسامتك تطلب ابتسامة بالمقابل . انت كريمة النفس وشجاعة وتتحلين بروح النكتة . كنت رجلاً محكوماً عليه . . . منذ التقيتك في المصعد . وقد عرفت الآن قدري مرتبط بقدرك منذ ذلك الحين .

ـ ماذا تقول النجوم في هذا اليوم لمواليد برج العقرب ؟

ادارها نحوه وبدت تعابير وجهه لينة وفي عينيه نظرة ماكرة .

ـ وماذا يهمنا ما تقول النجوم ؟ هيا . . . لدينا أعمال كثيرة علينا أن ننهيها . أتذكرين انزعاجك هذا الصباح حين قرعت صوفيا الباب ؟ هل تذكرين ياحبيبتي فرنسيس . . .

ـ اذكر ذلك جيداً (قربت وجهها منه) هيا بنا .

وغابت الكلمات لأن لا طعم لها الآن .

دخلت فرنسيس المصعد في مبنى التلفزيون بعد ان قابلت توم ديفريل في مكتبه . تجاهلت وجود رجل وامرأة بداخله وهي تفكر بما قاله لها : لديها فرصة جيدة لتمثيل أدوار مهمة في روايات شكسبير للموسم المقبل . أصبح توم صديقاًعزيزاً . كان يمزح معها اليوم

وذكرها بيوم لقائها بفيلكس لأول مرة . . ذكّرها بأنه كان شاهد أول عناق بينهما . تذكرت فرنسيس الغضب الذي تملكها . . . وكراهيتها للممثل الطويل الأسمر المتكبر ذي العينين الساحرتين . . . الذي اصبح زوجها . سيسر فيلكس بعملها الجديد . ابتسمت وهي تتذكر الأنباء السارة الأخرى . . . ستلتقي فيلكس بعد دقائق قليلة . وستخبره الأنباء المفرحة برمتها .

توقف المصعد ودخل اليه رجل وسيم . حدق بها بمكر وخبث مما جعل الاحمرار يكسو وجهها ، ثم نظر بعد ذلك الى الفتاة الشقراء التي كانت تقف في زاوية المصعد . وكيف تلومها ان صبت كل اهتمامها عليه ؟ انه حتماً جذاب وسيم لا يقاوم .

أراد فيلكس دعوتها الى العشاء في الخارج ، ولكنها أصرت على أن تهيء له الطعام بنفسها . انه عيد ميلاده الثامن والثلاثين . ستحتفل معه بهذا العيد ولن ترضى بمن يشاركها به . . . اليوم هو الثاني من تشرين الثاني / نوفمبر ولم تقل له بعد كل عام وأنت بخير . لقد ترك المنزل مبكراً وتعلقت به بدلال . أكد لها كم يكره أن يتركها في البيت ولكن عليه أن يكسب قوته بعرق جبينه ، ووعد بلقائها في الاستوديو في الرابعة بعد الظهر .

الساعة الرابعة . تنهدت فرحة . كل شيء يسير حسب البرنامج . لقد تمكنت من مقابلة الطبيب الذي طمأنها وبشرها بالأنباء السارة ، كما وانها استطاعت ان تصل الى موعد العمل مع توم حيث عرض عليها فرصاً جديدة مرضية للعمل . ستخبر فيلكس أولاً عن نجاحها في ميدان العمل ، وبعد الطعام ستخبره بما قال الطبيب .

ابتسم لها الرجل الذي دخل المصعد ولم تتمكن الا أن ترد له ابتسامته بابتسامة مماثلة . . . واذا بالمصعد يتوقف فجأة بعد ان اهتز بعنف .

قالت الشقراء بعصبية واضحة :

- هل علقنا في المصعد ؟ هل المصعد يتوقف هكذا عادة ؟

قال فيلكس الذي كان يقف في زاوية المصعد :

- فقط عندما تتنبأ النجوم ويريد القدر .

مشى فيلكس الى جرس الانذار يضربه وأكمل طريقه ليقف أمام فرنسيس ويضع يديه حولها ، ينظر اليها نظرة فاحصة من قمة رأسها الى أخمص قدميها .

- لا تخافي سأهتم بأمرك . . .

ضحكت فرنسيس وهي ترى نظرات الاستغراب من مرافقيها الغريبين .

- اشكرك . هذا لطف منك . اشعر انني أفضل حالاً . . .

- حسناً ، سأمسك بك جيداً حتى لا تسقطي .

واتبع القول بالفعل .

قالت الشقراء :

- هل تعتقدون ان الصراخ يفيد ؟

لم يجبها أحد .

نظر فيلكس الى فرنسيس وهو يضحك . شدد قبضته حولها بحنان وهو ينظر اليها بعينيه الساحرتين ، وشعرت فرنسيس انها لا تستطيع ان تخفي عنه انباءها السارة اكثر . . . رفعت وجهها اليه وتمتمت :

- بعد سبعة أشهر من الآن يأتي شهر حزيران/يونيو .

هز فيلكس رأسه موافقاً على الحقيقة الواقعة التي تتكلم عنها زوجته .

- برج الجوزاء . . . برج التوأم . . . اليس هذا مصادفة غريبة ؟

رفع فيلكس حاجبيه قليلاً ثم ابتسم مستوضحاً :

- صحيح ؟

- يقول غاريث ان حظ التوائم متعلق بحامل الوراثة . . . وعلينا أن نتدبر الأمر منذ البداية ونستعد لامكانية حدوثه .

عاد المصعد يعمل فجأة . اكمل نزوله بسرعة ثم فتح الباب . . . واذا بشخصين يخرجان مسرعين بينما خرج فيلكس وفرنسيس من المصعد وهما سارحان ساهمان لا يفطنان الى شيء حولهما . . . والسعادة تغمرهما .